ارتسامات جزائرية : «وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر»...

ليبيا العربية ليدرز Leaders

العدد 2 • من 15 فيفري إلى 15 مارس 2016 • السعر : 2,5 د.ت

أبناؤنا بين دروب الضياع ومتاهات الإرهاب

هل ينجح جلّول في حلّ معضلة التّربية؟

حزب النهضة في زمن «ناقل الرّيشة»

الفهرس

كلمة العدد

• لنجنّبهم دروب الضياع 4
بقلم عبد الحفيظ الهرقام

شؤون وطنيّة

• هل ينجح ناجي جلّول في حلّ معضلة التّربية؟ 10

• حزب النّهضة في زمن «ناقل الرّيشة» 18
بقلم احميدة النيفر

• جيل الإرهاب؟ 20
بقلم رشيد خشانة

• الصناديق الاجتماعيّة إلى أين؟ 24
بقلم عادل كعنيش

• يوميات مواطن عيّاش : عيد الحب...عيد وطني؟ 28
بقلم عادل الأحمر

شؤون دوليّة

• تونس، افريقيا : الفرص والآفاق 30
بقلم عبد الحفيظ الهرقام

• ارتسامات جزائريّة : «وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر» 38
بقلم محمد ابراهيم الحصايري

• الدكتور عزّام محجوب : الصين العملاق الاقتصادي المنهار! 44
أجرى الحوار عبد اللطيف الفراتي

أدب

• الكرسيّ بطل الرّواية 52
بقلم توفيق جابر

من آخر الإصدارات

• العميد فتحي زهير : الوساطة الضائعة في الخلاف البورقيبي ـ اليوسفي، مسيرة، وثائق، شهادات 56

من التاريخ

• في الذكرى الثمانين لوفاة الطّاهر الحدّاد 60
بقلم الحبيب الدريدي

فنون

• زبير التّركي: المسيرة الفذّة والإرث الضّائع 64
بقلم علي اللواتي

من وحي الرحلة

• نيبال : بلد الفقر والجمال 68
بقلم علي اللواتي

بطاقة

• رحلة في السنوات 76
بقلم الضّحبي الوهايبي

ليدرز العربية Leaders

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

هيئة التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام
مدير التّحرير

• احميده النّيفر • رشيد خشّانة • محمّد العزيز ابن عاشور
• عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري
• محمّد المغربي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي
• رشيد السلامي • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة
• الحبيب الدريدي • توفيق جابر • المختار المستيسر
• العادل كمّون • العادل كعنيش • علي اللواتي
• محمّد رؤوف بلحسن • يوسف قدية • آسيا العتروس
• عبد الدايم الصماري • سميرة شتيلة • هاجر الأيّوبي
• نجاح الخرّاز

مدير التصميم
أحمد الشارني

غرافيك
رائد بوعزيز

صور
ليـــدرز
• حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
عمر بنقاسم

فيديو
مروى العيّادي • مروى مقني

التسويق والإتصال
جيهان واز
بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الاسناد
• شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي
• لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
ساماكت

PR Factory

مجمّع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

حماة الوطن

على طول الحدود التونسيّة الليبية، وعند الساتر الترابي الذي أقامته طواقم الهندسة التابعة للجيش الوطني في ظرف قياسي لم يتجاوز أربعة أشهر، يقف جنودنا البواسل سدّا منيعا أمام كل محاولة للنيل من أمن البلاد واستقرارها والإضرار باقتصادها.

انتشروا على كامل الشريط الحدودي، تسندهم آليات ومعدّات عسكريّة بريّة وجويّة جدّ متطوّرة تتكامل مع أحدث تجهيزات المراقبة الألكترونيّة، مُتحدّين الظروف الطبيعيّة القاسية، في الحرّ والقرّ .

وبمعنويات مرتفعة ويقظة لا تغيب وعزم لا يلين، يرابطون في قلب الصحراء، بعيدا عن أهلهم وذويهم، في سبيل حماية تراب تونس العزيزة وردّ أيّ عدوان عنها، عقيدتهم في ذلك فداء الوطن.

لنجنّبهم دروب الـــضّيـــاع

بقلم عبد الحفيظ الهرقام

عندما اندلعت الاحتجاجات الاجتماعيّة في شهر جانفي الماضي في القصرين وفي جهـات أخـرى مـن البلاد، انصبّ الاهتمـام في المقـام الأوّل على معضلتي البطالة والتنمية الجهويّة، وفي خضم هذه الاحتجاجات غابت عن الأنظار مسائل أخرى لاتقلّ خطورة، لها صلة وثيقة بملفّ معقّد ومترابط الحلقات لم ينل في تقديرنا العناية اللازمة في السنوات الأخيرة، ونعني بذلك ملـفّ الطفـولة والشباب.

وعلى الرغم من أنّ عددا من الأحزاب السياسيّة بوّأته مكانة بارزة في برامجها الانتخابيّة وانبرت تطلق الوعود بالسهر على معالجته، فإنّ الحكومات المتعاقبة لم توفّق في إرساء برامج إصلاحيّة وإقرار إجراءات جريئة تحدّ من الظواهر السلبيّة التي ظلّت إلى اليوم تلقي بظلالها على أوضاع هاتين الشريحتين الاجتماعيتين.

ومن هذه الظواهر التي يجدر بنا التوقّف عندها، لما لها من بالغ التأثير في مسار تكوين الناشئة، ظاهرة الانقطاع المبكّر عن التعليم. ففي كلّ سنة يغادر عشرات الآلاف من التلاميذ مقاعد الدراسة، وقد بلغ عددهم خلال العام الدراسي الحالي أكثر من مائة وستة آلاف تلميذ وتلميذة، فتتلقّف الشوارع العديد منهم، بما يجعلهم عرضة للانحراف والجريمة، ويقع البعض في مخالب التنظيمات التكفيريّة التي سرعان ما تستدرجهم إلى ثنايا التطرّف والإرهاب.

ولاشكّ أن تنامي هذه الظاهرة يفضي، في نهاية المطاف، إلى تضخّم عدد المهمّشين الذين لا تقدر سوق الشغل على استيعابهم بالنظر إلى افتقارهم إلى مهارات وإلى كفايات متنوّعة -لا يمثّل تملّك المعرفة إلّا أحد أوجهها- تؤهّلهم للاندماج في الحياة الاجتماعيّة وتمكّنهم من الحصول على عمل.

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل يتعدّاه إلى ما هو أشدّ وقعا على سلامة القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة، ونعني انخرام العلاقات داخل المؤسسات التربويّة بين مختلف الأطراف، وتلاشي رسالة المربّي والتربية، وتفشي اللامبالاة والمحسوبيّة، وتفاقم ظاهرة الغشّ في الامتحانات، علاوة على تجذّر العنف في الوسط المدرسي وانتشار ظاهرة تعاطي

المخـدّرات فيه، وانعدام الوعي العلمي لدى نسبة عالية من الشباب التلمذي، لعلّ من أبرز مظاهره تلك المشاهد التي لا تخلو منها عدّة مدارس ومعاهد، عند انقضاء كلّ سنة دراسيّة، لمّا يُقدم من يؤمّها على إعدام الذاكرة المعرفيّة بتمزيق الكتب والكرّاسات.

و قد كشفت دراسة أجرتها الإدارة الفرعيّة للحياة المدرسيّة بوزارة التربية عن حصول 8.081 حالة عنف مادي ولفظي من طرف التلاميذ خلال الثلاثي الأوّل من السنة الدراسيّة -2014 2015، من بينها 1.933حالة تسبّبت فيها تلميذات، في حين بيّنت خليّة علوم الإجرام في مركز الدراسات القضائيّة أنّ نسبة تعاطي المخدّرات من طرف المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و18 سنة وصلت إلى نحو 57 بالمائة. أمّا إدارة الطبّ المدرسي فقد أفادت في تقرير لها أنّ نسبة التلاميذ الذين جرّبوا المواد المخدّرة تتوزّع بين 61,1 بالمائة من الذكور و 30,9 بالمائة من الإناث.

إنّ هذه الأرقام المفزعة التي ذكرنا ليست إلّا البعض من تجلّيات أزمة مستفحلة في صفوف جانب من أطفال تونس وشبابها الذين يعيشون اليوم حالة فراغ وضياع ، في ظلّ تقصير الأسرة في تربية الأبنـاء وتوعيتهم، وتراجع مردوديّة التعليم وتدنّي مستواه وترهّل بنيته التحتيّة، فضلا عن غياب الأنشطة الرياضيّة والثقافيّة صلب مؤسساته، والتي كانت في عقـود مضـت أداة لصقل المواهب وتنمية ملكة التفكير والإبداع وتعميق الحسّ الفنّي والنقدي لدى التلميذ.وقد أدركت وزارة التربية خطورة هذا الفراغ، فأعلنت الشروع في تعميم الأنشطة الثقافيّة والرياضيّة على المؤسسـات التـربويّة بداية مـن جـانفي الماضي.

ولا نعتقد أنّ إصلاح المنظومة التربويّة،الذي نسلّط عليه الضوء في هذا العدد من خلال حديث لوزير التربية، يكفي لوحده لمعالجة هذه الظواهر السلبيّة، بل إنّ الأمر يستدعي مقاربة جديدة تفرض ربط هذا الإصلاح بمراجعة جذريّة لفلسفة التكوين المهني ونظمه، في ظلّ حاجة الاقتصاد الوطني الملحّة إلى قوى عاملة ذات كفاءة ومهارة في مهن واختصاصات متعدّدة، ممّا يسمح باستحداث آلاف مواطن الشغل،علاوة على إعادة النظر في السياسات المتبعة إلى حدّ الآن في قطاعي الطفولة والشباب والمجالات المتصلة بهما، ولا أحد ينكر ما يشوب هذه السياسات من نقائص وقصور.

وكان ربّما من الأنجع في تقديرنا، عند إجراء التحوير الحكومي الأخير، ضمّ قطاع الطفولة إلى وزارة الشباب والرياضة وتعزيز صلاحياتها على نحو يجعل منها هيكلا أفقيا يعمل، وفق نظرة شاملة، في تناغم وتنسيق تامّين مع بقية الوزارات، في المجالات ذات الصلة، ولاسيّما وزارات التربية والتعليم العالي والتكوين المهني والتشغيل والثقافة والشؤون الاجتماعيّة، على أن تتولّى هذه الوزارة إعـداد خطط عمل واستـراتيجيـات تنـاقش وتقرّ في نطاق مجلس أعلى للطفولة والشباب قبل البدء في تطبيقها.

ومن البديهي أنّ هذه الخطط والاستراتيجيات، مهما توفّرت لها من إمكانات وآليات تنفيذ، لن يكتب لها النجاح إلّا متى كانت منصهرة ضمن رؤية مجتمعيّة متناسقة وقامت الأسرة، بالدرجة الأولى، وفضاءات التنشئة الاجتماعيّة ومكوّنات المجتمع المدني بمهامها على الوجه الأكمل في الإحاطة بالنشء والشباب ورعايتهم ، ورفد مجهود الدولة في تجسيم حقوقهم في التربية والتكوين والتشغيل والرفاه والعيش الكريم.■

ع.هـ

البنك الوطني الفلاحي
BNA

BNA EPARGNE AL-WAFA

EPARGNE AL-WAFA
Fructifiez votre Epargne

L'épargne Al-WAFA, vous offre :

- **Un placement sûr et bien rémunéré trimestriellement**
  - ✓ Des intérêts avantageux.
  - ✓ Une Prime d'épargne valorisante pouvant atteindre 35% des intérets servis*.
- **Un placement souple et disponible**
  - ✓ Des versements et des retraits libres, à tout moment et auprès de toutes les agences BNA.

* en fonction de la stabilité et du montant de votre épargne.

Pour plus d'informations, visitez notre site : www.bna.com.tn ou contactez l'une de nos agences.
Adresse : Rue Hédi Nouira 1001 - Tunis - Phone : +216 71 831 000 / + 216 71 831 200 - BNAphone : 88 40 00 20 - Email : bna@bna.com.tn - N° Vert : 80 100 505

استعراض وطني ضخم بمناسبة عيد الاستقلال

لم تفصح بعد الدّوائر الرسمية عن برنامج الاحتفال بالذّكرى الستّين لعيد الاستقلال، يوم 20 مارس 2016 وبينما تتعدّد مبادرات هيئات علميّة تونسية وفرنسيّة معنيّة بالتّاريخ الوطني، علمت ليدرز أنّ رئاسة الجمهوريّة أذنت بتنظيم استعراض ضخم بهذه المناسبة.

الحوار الوطني حول التّشغيل قبل منتصف مارس

حدّد رئيس الحكومة الحبيب الصّيد أجلا أقصاه منتصف شهر مارس القادم لإطلاق الحوار الوطني حول التّشغيل انطلاقا من ورشات عمل معمّقة تقدّم سلسلة من المقترحات العملية، على أن تنتظم الأشغال بالخصوص في شكل ورشات متخصصة. وقد كلّف مستشاره للشؤون الاجتماعيّة السيد بلال بالإشراف على اللّجنة الفنيّة المعنيّة بإعداد ملفات هذا الحوار.

ويسبق انعقاد هذه التظاهرة اجتماع هام لمجلس التحاليل الاقتصاديّة التابع لرئاسة الحكومة والذي يشرف عليه الوزير المستشار توفيق الراجحي، وستخصص هذه الدورة لمتابعة البرنامج الوطني للإصلاحات.

في حين يستأنف رئيس الحكومة لقاءاته مع رجال الأعمال ورؤساء المجموعات الاقتصاديّة الكبري للإصغاء لمشاغلهم واستحثاثهم على دعم الاستثمار وخلق مزيد مواطن شغل.

قطر ولو طال السّفر

المحطّة القطريّة في سلسلة زيارات رئيس الدّولة لبلدان الخليج العربي لن تتأخّر طويلا خاصّة بعدما تمّ الإعداد الجيّد لها خلال زيارة رئيس الحكومة إلى الدّوحة في مطلع ديسمبر الماضي وعقداجتماع اللّجنة العليا المشتركة على مستوى رئاسة الحكومة في كلا البلدين.

وترجح مصادر عليمة اتصلت بها ليدرز أن تتمّ برمجة زيارة الرئيس الباجي قايد السبسي إلى دولة قطر في غضون شهر أفريل المقبل.

تكويـــن متـــطوّر في تقنيـــات الغـــوص البحـــري

تتأهّب وزارة الدّفاع الوطني لإنشاء مركز تكوين رفيع المستوى للتّدريب على تقنيات الغوص البحري بشتى تخصصاته العسكريّة منها والمدنيّة ويبدو أنّه تمّ الاختيار على موقع متميّز في جهة جرجيس لإقامته.

وأكّد وزير الدفاع الوطني فرحات الحرشاني لمجلّة ليدرز أنّ الجيش الوطني، الذي يتوفّر على منظومة متكاملة للتّكوين المهني أقرّ خطّة دعم لهذا القطاع بما يسمح باستيعاب أعداد هامّة من المجنّدين أثناء قيامهم بواجبهم العسكري ويفتح لهم آفاق الانتداب بالجيش وكذلك دخول سوق الشغل متسلّحين بكفايات مهنيّة متطوّرة.

الجهيناوي قريبا في موسكو

تتوالى الأنشطة الديبلوماسيّة لوزير الشؤون الخارجيّة الجديد، خميّس الجهيناوي، على نسق حثيث اذ سيستقبل خلال النصف الثاني من شهر فيفري نظيريه العراقي والبرتغالي. ويشارك في شهر مارس في أشغال المنتدى العربي ـ الروسي السّوري الذي ينعقد في موسكو والذي يكتسي أهميّة خاصّة في هذا الظرف بالذات.

سفيـــر أمـــريكـــا بطـــرابلس الجـــديد يستقـــرّ بتـــونس

باشر السفير الأمريكي الجديد لدى ليبيا «بيتير ويليام يود» منذ بضعة أسابيع مهامه، علما وأنّ سفارته تستقرّ مؤقّتا بتونس العاصمة على غرار سفارات العديد من الدول الأخرى وخاصة منها فرنسا وألمانيا وبريطانيا وغيرها...

Une nouvelle façon
de voir les choses

SSANGYONG Tunisie

www.ssangyong-tunisie.com

SSANGYONG
Be yourself !

SOTUDIS
Chemin de réussite

Tunis
Route de sousse GP1 Km7 2033 Megrine
Tél: 71 42 53 55
Fax: 71 42 52 53

Sousse
Route de ceinture 4022 Akouda Sousse
Tél: 73 34 33 33
Fax: 73 34 32 33

Sfax
Route de Gabes, bvd de l'Environnement km 2,5 Sfax
Tél: 74 28 10 00
Fax: 74 28 10 20

muse

هل ينجح ناجي جلّول في حلّ معضلة التربية؟

عندما دخل ناجي جلّول حكومة الحبيب الصيد الأولى، منذ سنة تقريبا، وزيرا للتربية، لم يكن أحد يتوقع أنه سيكون خلال أشهر قليلة محط أنظار العديد من التونسيين.
جلب ناجي جلول الاهتمام بأسلوب عمل غير تقليدي وبقدر كبير من الحزم والجرأة في تسيير وزارة تعدّ من أكثر الوزارات خطورة وحساسيّة، باعتبارها المؤتمنة على مصير الأجيال الصاعدة. ولم يمض وقت طويل على تعيينه في هذا المنصب حتّى أضحى اسمه متداولا في عمليات سبر الآراء من بين الأسماء البارزة في المشهد السياسي الوطني.

شؤون وطنية

يطلع

علينا ناجي جلّول، من حين لآخر من خلال وسائل الإعلام، ليلقي الضوء على منظومة تربويّة باتت في حاجة ملحّة إلى المراجعة ويلفت النظر إلى مواطن الضعف والخلل فيها ويكشف عمّا يستوجبه تداركها من قرارات عاجلة، حتّى قبل استكمال كلّ مراحل إعداد مشروع الإصلاح التربوي الذي تعكف عليه منذ أشهر لجان متخصّصة وهيأة قيادة. استطاع أن يمرّر قرارات لم تكن دوما محلّ توافق واسع، ورضا الناس في الشأن التربوي غاية لا تدرك.

تحديات كبرى ومصاعب عديدة على ناجي جلّول مواجهتها في التعامل مع مشروع الإصلاح التربوي خلال مراحله المختلفة، لعلّ من أبرزها ضمان مشاركة كلّ الأطراف والقوى الوطنية في إعداده واعتماده حتّى يحظى بأوسع توافق ممكن، وتصوّر الطرق الكفيلة بترشيد التصرّف في الموارد الماليّة والبشريّة الحاليّة وبتعبئة موارد إضافية خارج ميزانية الدولة التي لم تعد تحتمل مزيدا من الضغوط، فضلا عن التوفق في تمهيد السبل لوضع الإصلاح موضع التنفيذ.

ويبدو الرجل، من خلال مواقفه وآرائه والإجراءات التي اتخذها في ظرف وجيز نسبيا، وكأنّه في سباق مع الزمن، واثقا من نفسه، حاملا لرؤية ولمشروع يهدفان إلى النهوض بأوضاع القطاع التربوي بمختلف مكوّناته. وفي كلّ عمليّة إصلاح فإنّ خلفية الوزير السياسيّة ودوره في التوجيه وإلمامه بأبعاد المهمّة وإدراكه للمتاح وللمنشود، عوامل لها أهمّيتها، على الرغم من أنّ المنجز في النهاية يجب أن يكون برنامجا وطنيّا يستند إلى حاضنة شعبيّة.

فهل ينجح ناجي جلّول في رفع التحديات وتجاوزالعقبات في سبيل حلّ معضلة التربية في تونس بما يجنّب أبناءها دروب الضياع ومتاهات الإرهاب؟ كان من المفيد أن تستضيف ليدرز العربية وزير التربية ناجي جلّول حتى تمكّن قراءها من التعرف عن قرب على ما يجري إعداده داخل هذه الوزارة البالغة الأهمية من مشاريع وخطط سيكون لها، إذا ما أنجزت ، تأثير مباشر في مستقبل المجتمع التونسي.

حرصت ليدرز على أن تحصل من الوزير على ردّ على عديد الاستفسارات التي يطرحها الرأي العام حاليّا بخصوص الملفّ التربوي بمختلف إشكالاته.

مشروع الإصلاح التربوي: الغاية والمنهجيّة

في ما يتعلّق بمشروع الإصلاح التربوي أكّد ناجي جلّول أنّ الحديث عنه لا يعني أنّ المنظومة التربويّة أصابها الوهن. ذلك أنّ كلّ الشعوب تقوم بإصلاح منظوماتها التربويّة، قائلا : «نحن نتعامل مع منظومة تربوية تعود إلى سنة 1956 وكان هدفها الأساسي محو الأميّة وتوفير إطارات للدولة الفتيّة. اليوم يجب أن يكون للمنظومة دور آخر. طبعا هناك تراجع ولكنه في بعض المجالات.مثلا لم يعد الإطار البشري للمنظومة جيّدا جدّا، ولكنّه ما زال على مستوى عال، رغم الصعوبات، والحاجة إلى إصلاح تربوي ظهرت منذ عقود».

وبعد أن ذكر الوزير أنّ مشاريع الإصلاح السابقة منيت بفشل ذريع لأنّها كانت ذات طابع استشاري، أي أنّها أعدت في مكاتب مغلقة، ثمّ وقع تصديرها إلى الإطار التربوي، بيّن أنّ «إصلاح ما بعد الثورة انطلق من تشخيص واضح قامت به عدّة أطراف كهياكل الوزارة والجمعيات ومنظمات التعاون الدولي، بل حتّى رجل الشارع كان يدرك أنّ هناك تراجعا للمنظومة التربويّة وعدم تناسبها مع الواقع، خاصة على مستوى الموارد البشرية». وأفاد الوزير أنّه تمّ في البداية تنظيم حوار وطني شامل حول واقع المنظومة التربويّة ومناهج الإصلاح الممكنة، لتمكين الإصلاح التربوي من حاضنة شعبية لكي يصبح محلّ توافق. ولاحظ أنّ نقاط القوّة في الحوار كانت مساهمة إطار التدريس والتلاميذ، في حين كانت مساهمة الأولياء فيه ضعيفة، موضّحا أنّه تمّ تجميع كلّ مخرجات الحوار ونشرت في وثيقة، وتشتغل على هذه المخرجات، منذ شهرين، مجموعة كبرى من الورشات، وهي التي تحدد الإجراءات التي ستتخذ في هذا المجال. وأبرز الحرص على تشريك كلّ الحساسيات السياسيّة في إعداد مشروع الإصلاح قائلا: «لا يعني هذا أنّ الإصلاح له طابع سياسي، ولكن أردنا ألّا يكون من لون سياسي وحيد، ونحن نعلم جميعا النتيجة لما يقوم بالإصلاح طرف سياسي واحد. وبالنسبة إلى الضمانات فهي تكمن أوّلا في مشاركة الجميع، وثانيا في أنّنا سنقوم في خصوص كلّ إصلاح باستشارة واسعة».

وقد بوّبنا الحوار الشامل الذي خصّنا به ناجي جلول إلى محاور أربعة مترابطة يقوم عليها مشروع الإصلاح التربوي، وهي:

1. التلميذ 2. الإطار التربوي
3. محتوى البرامج 4. المؤسسة التربويّة

1- التلميذ

يعتبر الوزير أنّ من أهداف الإصلاح الأساسيّة هو «أن يصبح التلميذ محور العمليّة التربويّة»، و«المبدأ هو أن يتكوّن الطفل تكوينا جيّدا وأن تكون لنا بعد سنوات الدراسة موارد بشريّة متميّزة».ومن أجل تحقيق ذلك، تمّ إقرار جملة من الإجراءات من أهمّها:

- الشروع بداية من السنة الدراسيّة المقبلة، وبصفة تدريجيّة في توفير وجبة غداء للتلاميذ. والهدف من ذلك هو أن تتاح للتلميذ فترة صباحيّة للدراسة، تليها فترة غداء، على أن تخصّص فترة الظهيرة للأنشطة الرياضية والثقافيّة.

وسيتمّ تعميم هذا الإجراء على مدى خمس سنوات بالنسبة إلى كلّ تلاميذ المدارس الابتدائيّة في كامل تراب الجمهوريّة.

- تقوم الوزارة حاليّا بنقل 12.000 تلميذ يوميّا في المناطق الريفيّة، بفضل مساعدة جمعيات نشيطة من المجتمع المدني، من خلال صيغ تختلف عن صيغة حافلة النقل التي تعمل في الصباح وفي المساء، وتطرح إشكاليات عويصة، كالصيانة وغيرها.

- إصلاح منظومة الزمن الدراسي وضبط جدول للأوقات مناسب للتلاميذ، إذ «تبدأ مشاكل التعليم من جدول أوقات التدريس الذي يصاغ على مقاس المدرّس وليس على مقاس التلميذ من الابتدائي إلى الثانوي».

- تعويد الصغار على الحياة مع بعضهم البعض، في الدراسة، وفي المطعم المدرسي وفي اللعب وفي النشاط المسرحي والسينمائي. لأنّ «أهمّ درس يتعلّمه التلميذ في الوطنية هو التعايش الاجتماعي (SOCIABILITÉ)».و«لو ننجح في هذا المشروع يمكن لنا إعادة بناء الوطن».

- تحديد هدف بعيد وهو أن يبقى كلّ تلاميذ المرحلة الابتدائية يوما كاملا في المدرسة، والمؤمّل «أن يصبح التلميذ التونسي متعلّقا بمدرسته ولا يريد مغادرتها لتوفرها على فضاءات لائقة».

2- الإطار التربوي

● ستعود في السنة القادمة مدارس ترشيح المعلمين؛ وقد تمّ اختيار مواقع التدريس؛ وسيتم انتداب ثلاثة آلاف شاب وشابة متحصلين على شهادة الباكالوريا ليقع تكوينهم لمدة ثلاث سنوات. وسيكون نصف التكوين نظري والنصف الثاني ميداني أي بيداغوجي.

● سيتم انتداب 3.000 آخرين متحصلين على شهادة «الماجيستير المهني» كأساتذة للتعليم الثانوي؛ وقد تمّ ضبط مواقع التكوين، والعمل جار لتحديد ملامح المتخرج.

● سيشمل التكوين سلك القيمين لأنّ مكانة القيّم البيداغوجية تراجعت بصفة كارثية.

● تم تحديد المواقع التي ستقام فيها مدارس التكوين مع المراوحة بين الأقاليم الساحلية والأقاليم الداخلية، حيث ستوجد مدارس تكوين في كل من قابس وفي جندوبة وأيضا في المدن الكبرى.

● ستوكل للمعلمين ولأساتذة التعليم الثانوي مهمة ضبط البرامج وطرق التكوين وإعداد الكتب المدرسية بمشاركة طفيفة من الجامعيين، لأن أهل الميدان هم الأولى بذلك.

● إحداث إدارات محلية للتعليم في المعتمديات والشروع قريبا في تنفيذ هذا الإجراء.

● إعـادة أفـواج كـاملة من المعلمين والأسـاتذة إلى عملهـم الأصـلي وهو التدريس وتوزيع فائض الأعوان الإداريين على الإدارات المحلية. ولن تضطر الوزارة إلى انتداب معلمين وأساتذة خلال السنة الحالية.

● توفير لوحة إعلامية (TABLETTE) لكل أستاذ، وذلك بواسطة هبة تحصلت عليها تونس.

● توجد إطارات مختصة في التنشيط الثقافي داخل وزارة التربية، في ميادين المسرح والموسيقى والسينما، ولكنها غير كافية.وستحاول وزارة الثقافة تسديد الحاجيات في هذا المجال بما لها من إطارات ممتازة.

● أصبـح في كـل المنـدوبيات الجهـوية هيكل مختص بالنشاط الثقافي.

● سيتمّ اختيار مديري المؤسسات التربويّة مستقبلا بواسطة مناظرة وطنية تفضي بدورها إلى فترة تكوين بسنة يقع بعدها الانتداب.

3- محتوى البرامج

● تمت في تونس التضحية بالتعليم المهني بينما نجد في كل بلدان العالم 50 بالمائة من المتخرجين قادمين من هذا التعليم. لذلك سيتم بداية من هذه السنة إحداث باكالوريا مهني؛ وسيقع التنسيق مع وزارة التشغيل والتكوين المهني للوصول بعد خمس سنوات إلى نسبة خمسين بالمائة من خريجي التعليم المهني بين المجموع العام.

● يجب أن يتعلم تلميذ المرحلة الابتدائية الكتابة والقراءة والحساب والموسيقى والرسم.

● يتعيّن أن يبدأ تعليم اللغات للطفل منذ السنة التحضرية. المبدأ، على المستوى اللغوي، هو أن يتعلم الطفل العربية والفرنسية ثم الأنقليزية كلغة ثالثة. يرى ناجي جلّول أن يتم تعليم الأنقليزية منذ الابتدائي، وهناك نجاحات في التعليم الخاص تؤكد سلامة هذا التمشي. فلمَ لا يقع تعميم هذه التجربة في المدارس العمومية؟

والمهم ، في نظره ، الوصول بمن بلغ السنة السادسة ابتدائي إلى درجة تجعله يحذق جيدا لغتين على الأقل: العربية والفرنسية، ثم اللغة الأنقليزية، وعندما يتخرج التلميذ بشهادة الباكالوريا يجب أن يحفظ على الأقل ثلاث لغات : العربية والفرنسية والأنقليزية.

● التربيـة الإسـلاميّة مـادة أسـاسيّة يجب الحفـاظ عليها، ولكـن لا بدّ مـن دعمهـا وتطويرها لتتأقلم مع الواقع. والمبدأ هو تكوين تلميذ متجذّر في هوّيته العربية الإسلاميّة، متوازن ومتفتح على الثقافات الأخرى.

● شُرع في تطوير مادة التربية المدنية، وللوزارة تجربة في ذلك. يجب أن تتوفّر للتلميذ حصّة تكوين في المستشفى ومصالح البريد... وتبحث وزارة التربية مع وزارة الدفاع الوطني إمكانية تمكين التلاميذ من حصّة تكوين عسكري تدوم خمسة أيّام.

4- المؤسسة التربوية

● ستشمل الاستشارة حول مشروع الإصلاح الإطار التربوي والأولياء والتلاميذ، وذلك ضمن مجالس المؤسسات التربوية التي أحدثت؛ وهي تضم ممثلين عن الأساتذة والأولياء والقيمين والعملة وكل الأطراف المتدخلة في الحياة التربوية. وستبدأ انتخابات مجالس المعاهد والمدارس داخل الجمهورية، على أقصى تقدير قبل نهاية شهر فيفري. وللحصول على أكبر توافق ممكن على الإصلاحات، يجب عرض كل مشروع إصلاح على مجالس المؤسسات التربوية.

● من الضروري طرح موضوع مساهمة المواطن في تمويل التربية على العلن؛ إذ تمثل اعتمادات وزارة التربية أكثر من 20 بالمائة من الميزانية العامة للدولة، وهي أكبر ميزانية؛ 97 بالمائة منها مخصصة للأجور والمنح، والثلاث في المائة المتبقية، أي ما يساوي 180 مليون دينار، مخصصة للتجهيز والتنمية.

يقول الوزير في هذا الشأن: «إما أن نريد تعليما متميزا أو أن نختار تعليما رديئا، ويبقى حينئذ الحديث عن التعليم العمومي وعن مجانية التعليم بلا معنى. نحن نريد تعليما عموميا جيّدا ومتميزا وأحسن من التعليم الخاص، حتى يبقى هو التعليم المرجعي ؛ مما يتطلب السعي إلى إيجاد موارد جديدة للتعليم، لكن في إطار التوافق. هذا ما يجب أن يدركه الشعب التونسي».

● تبين من دراسة أجريت على 65 مدرسة ابتدائية أن كلفة التلميذ على الوزارة تتجاوز مرتين كلفة طالب في الطب. كما اتضح أن بعض الأقسام أو المدارس لا يؤمها إلا تلميذ أو اثنان أو ثلاثة؛ بحيث يوجد مدير ومعلم وحارس...، لتلميذ واحد أو أكثر بقليل، علما وأنّ المعدل العالمي هو 250 تلميذ لكل مدرسة، بينما توجد في تونس 560 مدرسة لا يتجاوز تلامذتها 50 فردا.

● صيغت مشاريع لدمج تلك المدارس؛ وتعمل وزارة التربية مع وزارة النقل على تأمين النقل المدرسي للمؤسسات المعنية. وكذلك الشأن بالنسبة إلى توفير الطعام. وقد بينت الدراسات أنّ عملية دمج المدارس ستمكن من إحداث حوالي 4.000 موطن شغل في النقل الريفي... وسيعرض هذا المشروع على الأولياء لإقناعهم بجدواه؛ لأنه سيوفر لأبنائهم حياة اجتماعية داخل المؤسسة التربوية.

● إن عملية الإصلاح التربوي لا تقتصر على البرامج فقط ، بل يبدأ الإصلاح من تعهد البنية التحتية.

● سيقع العمل على تقريب الإدارة من المركز لمواكبة عمل المؤسسات التربوية عن قرب. وبداية من يوم 15 فيفري الجاري سيبدأ العمل بمنظومة «إيدي - سارف»(EDUSERV)؛ وبفضلها سيُمْكن للولي الاطلاع في كل لحظة على غيابات ابنه.

● توجد الآن أربعون مدرسة ابتدائية تعمل بنظام الحصة الواحدة ؛ وسيقع تعميم هذا الإجراء شيئا فشيئا حسب الحاجيات وحسب واقع البنية التحتية للمدارس.

أرقام ومؤشرات لها دلالات

• **منابر الحوار حول إصلاح المنظومة التربوية : 8.000 منبر**

التمشي المعتمد :
• لجنة ثلاثية لقيادة المشروع (الوزارة – اتحاد الشغل – المنظمات الحقوقية)
• استشارة أطراف الوسط التربوي في كامل تراب الجمهورية
• إصدار كتاب أبيض تقييمي و2.000 إجراء إصلاحي على مدى 5 سنوات

• **انتداب 3.000 شاب وشابة متحصلين على شهادة الباكالوريا لمدارس ترشيح المعلمين ومدة التكوين 3 سنوات**

• **انتداب 3.000 شاب وشابة متحصلين على الماجستير لمدارس تكوين الأساتذة ومدة التكوين سنة واحدة**

• **معدل أيام التدريس الفعلية سنويا:**
• المعدل العالمي : 240 يوما
• المعدل في تونس : ما بين 100 و 160 يوما

• **معدل ساعات التدريس الفعلية سنويا:**
• المعدل العالمي : 750 ساعة
•المعدل في تونس : 400 ساعة

• **معدلات أعداد التلامذة في كل مؤسسة تربوية**
• المعدلات العالمية : 250 تلميذا
• المعدلات في تونس : 50 تلميذا في 560 مؤسسة تربوية

• **نسبة القطاع الخاص : 4 بالمائة من جملة المؤسسات التربوية التونسية**

• **نسبة ميزانية التربية في الميزان العام للدولة: 20 بالمائة**

• **نسبة ميزانية التجهيز والتنمية في ميزانية وزارة التربية: 3 بالمائة (180 مليون دينار)**

• **عدد مواطن الشغل التي ستحدث بعد إتمام عملية دمج المدارس ضعيفة العدد على مستوى التلامذة : 4.000 موطن شغل، أساسا في النقل الريفي**

• **عدد التلامذة الذين يتم نقلهم يوميا في المناطق الريفية (خارج منظومة النقل العمومي): 12.000 تلميذ وتلميذة**

• **إعادة أعوان سلك التعليم إلى خططهم الأصلية: 4.000 معلم وأستاذ**

• **المدارس الابتدائية التي تعمل حاليا بنظام الحصة الواحدة (تجربة نموذجية) : 40 مدرسة ابتدائية**

• **بينت دراسة أجريت على 65 مدرسة ابتدائية أنّ كلفة التلميذ على الوزارة تتجاوز مرتين كلفة طالب في الطبّ.**

كيف يرى ناجي جلّول مدرسة المستقبل؟

«يجب أن لا تكون المدرسة التونسية مصنفة في درجات متأخرة في جدول الترتيب العالمي للمدارس، وآمل أن نرتقي في هذا المجال إلى مراكز جيدة؛ وكذلك الشأن بالنسبة إلى الجامعات التونسية.

كما أراها تماثل مدرسة السنوات الستين، حيث يتوفر فيها العلم من ناحية، وتدمج الفقير والغني وصاحب الاحتياجات الخصوصية، وتدفعهم سويا في المصعد الاجتماعي، وهي، من ناحية أخرى، مدرسة تؤهل الإنسان للمستقبل. إنّ المدرسة التونسية في وضعها الحالي لا تساعد على الاندماج، بل هي، للأسف، تعمق الفوارق الاجتماعية عن طريق العدد، لأنها مدرسة العدد ومدرسة الامتحان؛ ونحن نريد أن تعود إلى الأصل حتّى تكون مدرسة الإدماج والتكوين».■

أجرى الحوار عبدالحفيظ الهرقام
بالتعاون مع مختار المستيسر

حـــزب النهـضـــة فـــــي زمن «ناقل الريشة»

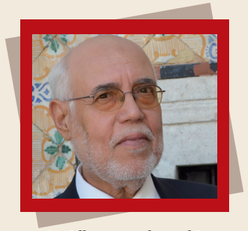

بقلم د.احمـيده النـيفـر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدد

نحن، من المنظور الثقافي، في زمن «ناقل الريشة». هو زمن لا يُجدي معه تردد أو مداورة، ذلك أن «ناقل الريشة»، وفق التراث الشعبي، يجد نفسه أمام اختيار «إلزامي»، لإنه نادم سواء أأخذ معه الريشة أم تركها. معنى ذلك أن إنسانية هذا الزمن تتكشّف بجلاء فتبرز في القدرة على الاختيار، لكن مع ضرورة الرضا بالتناهي والمحدودية. هذا هو الزمن الجديد الذي دشّنته الثورة تونسيا وعربيا. إنه الزمن الذي يؤرق الجميع والنخب السياسية تحديدا، لأنها وهي التي نَشأت وتخرّجت بثقافة ملتبسة بعَلمنة خاصة لا تحتمل الإمكان والتعدد، بل تُرسي مواقفها على شمولية وثوقية حديّة مسكونة بنزوع إلى المسايرة وركون إلى المعهودية.

أكثر القوى التونسية تعرضا لمعضلة هذا الزمن الجديد هي قيادات حزب حركة النهضة وقواعدها. إنهم، رغم كل المظاهر، ليسوا بمنجاة من تلك الثقافة الملتبسة بعلمنة خاصة جعلتهم ينخرطون فعلا منذ عقود في عمل جماعي شبه مُسَيّس إلا أنهم صاروا، خاصة بعد سنوات الثورة، تنظيما سياسيا الجانبُ الدّعوي فيه مُلحَق وباهت. ثم إن المعهودية السائدة بين عموم النخب التونسية جعلتهم لا يقوون على القيام بفصل حاسم بين السياسي والدّعوي رغم أنه لا مندوحة لهم عن المضي في تأسيس حزب سياسي مدني. مع ذلك فهم لا يتمالكون عن التأكيد بأنهم حزب ذو مرجعية إسلامية.

كيف الخروج من هذا المأزق التاريخي في زمن لا يحتمل تسويفا أو تجاهلا؟

عند تأمل خصائص خطاب حركة النهضة ومواقفها واختياراتها تتضح طبيعة الأزمة التي يواجهها غالب النهضويين والتي كثيرا ما اعتُبرت ازدواجيةً في الخطاب بينما أساسُها معضلةٌ مفاهيمية مرتبطة بسياق نشأتهم وما ترسّخ فيها من مصاعب وعقبات تعود في الغالب إلى خصوصية الوضع التونسي الثقافي والسياسي. لتجاوز ذلك كان الأمر يتطلب جهودا معرفية عَصيّة لم تحفزها سياسات إدماجية من القوى المنافسة التي ظلّت محكومة بالتوجّس والرفض لتيار الهوية. صميم أزمة النهضة تتحدد في تقاطع مجالي الثقافي-القيمي والاجتماعي-السياسي والذي تبرزه خاصة ثلاثة مفاهيم كبرى هي: الحركة، الدعوة والمرجعية الإسلامية.

لقد انطلقت النهضة حركةً دَعَويّة ثم حين تطورت فكريا صارت إخوانية ذات حس نهضوي. لقد تركّز رهان الجماعة الإسلامية في تونس على الهوية عنصرًا أساسيا في النهوض دون أن يتحوّل ذلك الحسّ إلى «نظرية في النهضة» متولّدة عن ذلك الحسّ وما يتخلّق عنه من فكر صانع لمناهج تفسيرية للمشروع وما يتطلبه من اختيارات سياسية واجتماعية وأنماط تقنينية تصوغها.

المفارقة الكبرى التي عاشها إسلاميو النهضة منذ أن أدركوا أنهم جماعة مُستبعدة من التاريخ الوطني الحديث والمعاصر هو أن اعتمادهم خطابَ الهوية، الذي يستحضر الذاكرة الجماعية بتمثّلات متعددة ويرفض مقولة الانقطاع التاريخي وموت الذات، يظلّ قاصرا عن القيام بتفسير ذلك التاريخ الذي استُبعدوا منه. بقيت الحركة رافضة التسليمَ بالهزيمة الحضارية أمام الآخر الغازي وأتباعه دون أن تبني وعيا بالأسباب الموضوعية لاستبعادهم من التاريخ الوطني ولانتصار التحديث القاطع مع الهوية والثقافة الخاصة. كانت في ذلك كأنها لم تدرك أن فهم التاريخ هو الشرط الأول لإعادة الانخراط فيه. هو عين ما نبّه إليه مالك بن نبي حين قال: «نحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمّى الوقت لكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم ولسنا نعرف فكرة الزمن المتصلة اتصالا وثيقا بالتاريخ».

أول خلاف داخلي عاشته الحركة في تونس، في الربع الأخير من القرن الماضي، يؤكد هذه المفارقة. لقد اعتُبر التصدي للاستتباع الثقافي والسياسي غير كافٍ إذ لا بد من التوصّل إلى مجالات القصور عن إنتاج وعي تاريخيٍ يفضي إلى خطاب يمكّن من بدائل و حلول ناجعة للعصر. ذلك ما دعا إلى تأسيس مجلة 15/21 للفكر الإسلامي المستقبلي، تجديدا للوعي وتركيزا لمراجعات نقدية تتجاوز المأزق التاريخي الذي تغذيه أدبيات إرضاء الذات والمنافحة الحماسية الذاهلة عن مواطن الخلل في الفكر والممارسة الحركيين.

اليوم أعلنت المسيرة الثورية في تونس نهاية إبعاد خطاب الهوية عن المساهمة في بناء التاريخ الوطني إضافة إلى ما يفرضه السياق المعولم على نفس ذلك الخطاب من ضرورة الاقتدار على الراهنية والفاعلية. هذا ما يلزم القائمين على حظوظ النهضة بحسم مسوغات حضورهم الموضوعية ومصداقية تحليلهم وجدارة تعبيراته وتنوّع بدائلهم وتميزها. ذلك إن حصل، سيُخرج النهضة الجديدة من «إسلام الجماعة المحتجّة» والتنظيمات المنفصلة عن المجتمع والكارهة للعصر إلى مسار البناء الوطني والتموقع الاجتماعي مع حتمية المراجعات المعرفية والحضارية. عندئذ سيقف النهضويون عند معنى الاختيار «الإلزامي» الذي سيجعلهم حزبا سياسيا عاملا من أجل بديل تشاركي وليس مجرد بديل احتجاجي عن الآخر لكونهم، مثل الآخرين، لا يملكون البديل الأمثل والأشمل.

عندها يمكن للنهضة أن تخرج من الوضع الخلاسيّ الذي يوقعها فيه الاعتماد المُلتبس وغير المحدد لمعنى أنها حزبٌ ذو «مرجعية إسلامية». ما المقصود اليوم من «مرجعية إسلامية» بعد أن حسم دستور 2014 مرحلة الاستقـطاب ليعتبر أن تلك المرجعية ليست مجالا للصراع السياسي؟

في تونس لم يعد من الممكن ثقافيا وسياسيا تناول مسألة المرجعية الإسلامية من مفهوم «إسلام الفسطاطين» أو «إسلام الفرقة الناجية» لأن سياق المسار الثوري فتح المجال لبوّابة «إسلام التعارف والمواطنة». من جهة ثانية لم يبق من الممكن خوض الصراع السياسي لفرض مرجعية دينية أو عقدية على الدولة، كما تأكد في ذات الوقت أن تحييد دور الدين في المجتمع هو الآخر صار مُتعذرا.

أخيرا، فإن الإحالة على «مرجعية إسلامية» فيه تجاهلٌ واضح لمدى افتقاد العالم العربي الاسلامي إلى المرجعية الفكرية المميزة والقادرة على الإسهام في بناء واقع جديد ضمن مواقع المجتمع المختلفة وتطلعاته الحيوية. لهذا فإن المرجعية المتاحة لحزب النهضة الجديد تتحدد بالعمل على الطيّ التدريجي لصفحة الماضي الملتبس بتقييم دقيق ومتواصل لها. ذلك يستدعي تحديد مرجعية قيمية وفلسفية تتجاوز مجرد الوصف والتعداد إلى التحليل وبيان الأسباب والقوانين الفاعلة بما يفتح آفاق البدائل والاستراتيجيات النوعية.

مقتضى هذا سؤالٌ متعلق بهذه المرجعية الإسلامية المنشودة في ما تحيل عليه من أزمة للفكر الديني في تونس.

المؤكد أن انفصال السياسي عن الدَّعوي يفرض مراجعة جذرية لهذا الأخير، تمكّن من الخروج من أزمة المرجعية التي ليس للحزب الجديد إسهام مباشر في تحقيقها.إن سؤال المرجعية الإسلامية مختلف نوعيا عن العمل السياسي وعن طبيعة الدعوة ومضمونها والقائمين عليها. ذلك أن الدعوة المعهودة تهتم بقواعد النظر إلى الناس وقضاياهم وبالتفاعل معهم انطلاقا من النصوص المؤسسة لمواجهة الأفكار بالبيان والتصحيح وإزالة الشبهات. في حين أن سمة المرجعية تُنشئ علما ورأيا متجددين يُعيدان بناء المعرفة الدينية المعاصرة وذلك ما لا يستطيعه حزب سياسي أو سلطة حاكمة ولا تُطيقه جماعات الدعوة أيًّا كانت.

هذا ما يعيدنا إلى مربع «الكلّ السياسيّ» المهيمن على عموم النخب العربية الحديثة والمعاصرة في تجاهلها لأولويات أخرى على رأسها أولوية الثقافي والفكري والاجتماعي وضرورة بلوغها استقلالا عضويا يُثري النسيج المدني المجدد لطاقات الفرد وفكره وسلوكه والمجتمع وقدراته الذاتية المبدعة.■

ا.ن.

جيـــل الإرهـــاب؟

بقلم رشيد خشانة

لا يذهبَنَ الظن بنا إلى أن مقاومة المجتمع التونسي (دولة وشعبا) للإرهاب هي قضية سنة أو سنتين. إنه صراع سيستغرق جيلا بأكمله وربما أكثر، خاصة بعد عولمة الإرهاب، الذي بات عابرا للدول والقارات. وبرغم أن التنظيمات الإرهابية وافدة علينا وليست وليدة البيئة التونسية، فقد استطاعت منذ أواسط العقد الماضي، زرع خلاياها في أماكن مختلفة من بلادنا، بل وأقامت معسكرا للتدريب سنة 2006 في جبل عين طُبُرنق، أي على بُعد 30 كيلومترا فقط من العاصمة.

في المقابل استقطبت الجماعات المتشدّدة في الخارج، وخاصة «القاعدة» ومشتقاتها، أعدادا كبيرة يصعب إحصاؤها من أبناء هذا البلد، لاسيما إذا ما قارنا أعدادهم بالحجم الإجمالي للسكان. لقد كان جيل الستينات والسبعينات في تونس مفتونا بثقافة اليسار، وبخاصة أفكار حركة ماي 1968 في أوروبا، فيما كان جيل الثمانينات والتسعينات متأثرا بالفكر الإسلامي، لاسيما بعد انتصار الثورة الإيرانية. أما الجيل الذي أبصر النور في أواخر الألفية الماضية فخطف الفكرُ المتطرفُ عقله بوسائل شتى، أبرزُها شبكات التواصل الاجتماعي وخُطب الأئمة المتعصبين في بعض المساجد وبعض القنوات التليفزيونية.

لاشك أن من الحيف إطلاق أوصاف أو أحكام على جيل بأكمله، لكن في كل مرحلة تاريخية هناك صوت أعلى نبرة من الأصوات الأخرى، وهو الذي يطبع بميسمه فكر ذاك الجيل. والأكيد أيضا أن غالبية الجسم الشبابي في تونس مُعافى من لوثة الإرهاب. غير أن الفئة القليلة التي انساقت إلى التطرف المقرون بالعنف هي التي كرست الصورة الأكثر تداولا اليوم في الداخل والخارج عن شبابنا. تعالوا نفرز المتطرفين عن الأسوياء، فطبقا للإحصاءات المُتداولة يُشكل الشباب الذي لا يتجاوز سنه 35 سنة 70 في المائة من المجتمع، أي حوالي 7 ملايين، أما المنخرطون في الشبكات الإرهابية في الداخل والخارج فلا يتجاوز عددهم في الحد الأقصى 20 ألفا. وإذا ما أجملنا المعلومات التي كشفت عنها وزارة الداخلية في أوقات مختلفة سنجد الأرقام التالية:

- 1.800 مُعتقل للإشتباه في علاقتهم بالارهاب (2015)
- 3.000 ما زالوا يُقاتلون في الخارج
- 800 عادوا من سوريا
- 600 قُتلوا في سوريا والعراق
- 12.000 مُنعوا من السفر إلى بُؤَر الحرب

والحصيلة هي أكثر من 18.000 شاب أصيبوا بلوثة الإرهاب.

لا بد هُنا من طرح السؤال: ما الذي يدفع ذاك الشاب العادي إلى تغيير نمط حياته والانقياد الكامل لأوامر تنظيم يأمره بالقتل أو بالانتحار؟ على سبيل المثال ما الذي جعل شابين تونسيين يُقدمان على اغتيال الجنرال أحمد شاه مسعود في عملية انتحارية في بانشير بأفغانستان يوم 9 سبتمبر 2001؟ وما الذي حمل شابا تونسيا آخر على تفجير مرقدي الإمامين الشيعيين علي الهادي وابنه

الحسن العسكري في سامراء بالعراق، قبل أن يُنفذ فيه حكم الاعدام في نوفمبر 2011؟

الخطوة الأولى التي تلجأ إليها شبكات التطرف هي إحداث القطيعة بين الشاب والمجتمع، أي مع ثقافته وقيمه ومرجعياته، كي تضمن انهيار المناعة، ثم تغرسُ في عقله منظومة أخرى من القيم والمرجعيات والمصطلحات تدور حول الموت. كان هذا الاستقطاب يتم في سن المراهقة، أما بعد 2011 فصرنا نرى مُتلبسين باستهداف صغار السن في الروضات العشوائية التي تُديرها جمعيات مشبوهة. كما لعب «الأئمة» المتطرفون في المساجد الخارجة عن القانون على مدى أعوام، دورا أساسيا في «إنضاج الثمار» التي سرعان ما تقطفها عناصر الشبكات المُتشددة. وتُساعد على تيسير تلك العملية أوضاع التهميش التي يعيشها الشباب، إذ يحظى بالرعاية والإحاطة ويشعر للمرة الأولى في حياته بأنه مُهم، بل يحصل في كثير من الأحيان على دعم مادي هو في أمس الحاجة إليه. ويمكن تلخيص أسباب ذلك التهميش في عنصرين رئيسيين:

- أولهما أزمة النظام التعليمي العاجز عن تلبية حاجات سوق الشغل، والذي يُخرج مئات الآلاف من العاطلين بشهادات عُليا.

- وثانيهما التهميش الاجتماعي، إذ احتلت تونس طبقا لإحصاءات البنك الأوروبي لإعادة الإعمار والتنمية المرتبة 14 من حيث أعلى نسبة بطالة في صفوف الشباب في العالم (بنسبة 31,2 بالمائة). وألقى مكتب العمل الدولي ضوءا آخر على هذا الوضع عندما أظهر أن 75 في المائة من شباب تونس، الذين تُراوح سنهم بين 15 و29 سنة، يعملون في القطاع الموازي وعلى رأسه التهريب. وأصبحت بين التهريب وشبكات الإرهاب في أيامنا هذه علاقات حسب ونسب...

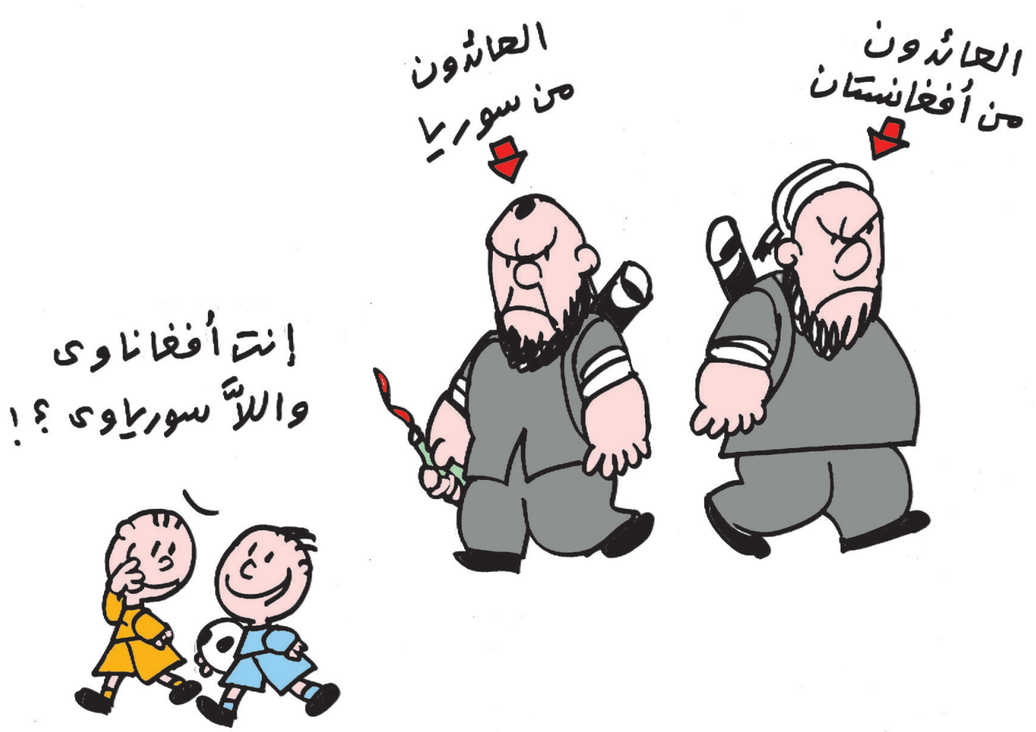

إلا أن العُنصر الأهم هو فقدان المشروع الوطني النابع من عُمقنا الحضاري ومن إدراك ميزات موقعنا في الإقليم والعالم. ففي غياب مثل ذلك المشروع لا نستغرب أن تتم تنشئة أطفالنا وفتياننا على صورة ذاك الفتى ذي الخامسة عشر الذي أظهره شريط فيديو مؤخرا وهو يجزُ القيادي في الجبهة الشامية محمد طبشو، إمام مسجد تل قراح في سوريا، ثم يذبحُهُ بأياد غير مُرتعشة. من هُنا تأتي الضرورة العاجلة لمراقبة الروضات القرآنية والحيلولة دون من يتسترون بإلقاء الدروس في المساجد لحقن الشباب بالفكر المُلوث. فقد اعتاد مجتمعُنا التونسي على تعليم الناشئة في الكتاتيب طيلة قرون، لكنها لم تُخرج قتلة أو إرهابيين. كما ينبغي مُراقبة الجمعيات «الخيرية»، ومعظمها كيانات سياسية حتى النخاع، إذ أنها تُستخدم معبرا للتمكين بوصفها أداة فعالة للحشد في يوم النفير الانتخابي.

على أن هذه المعركة ستستغرق، مثلما أسلفنا، جيلا بأكمله لسعة رقعة اللوثة، وهي تحتاج إلى عمل متضافر المحاور اجتماعي وتربوي وديني، يُعتمد فيه على جيل جديد من الواعظين والأئمة، فالشباب الثوري بطبيعته لا يثق في الوُعاظ التقليديين. وهذا يُحيلنا إلى ضرورة تجديد الفكر الديني في إطار التواصل مع الفكر الإصلاحي والنهل، في الآن نفسه، من مُكتسبات الحداثة الإنسانية.■

ر.خ.

الصناديق الاجتمـــــاعية إلى أين ؟

بقلم الأستاذ عادل كعنيش

لم يقف مسعى الحكومة عند هذا الحد، بل جاءت ميزانية 2016 مبنية على تراجـع جديـد في حجـم العجـز لتصـل النسبة إلى حدود 3,9 %، وهذا التراجع وإن كان إيجابيا في خصوص توازنات الدولة، فإنه حـرم الجهـات الداخلية من اعتمادات هامة كان بالإمكان تخصيصها للتنمية الجهوية، لكن هذا الحرص في السيطرة على نسبة العجـز يحجب في حقيقة الأمر عجزا أكثر خطورة، وهو العجز المتأتي من الخسائر المتراكمة سواء في المؤسسات العموميـة كالخطوط الجـوية التـونسية أو شـركات النقـل أو شـركة الفولاذ أو معمـل الحلفـاء بالقصرين، ينضاف لـذلك الخسـائر الهـامة التـي مـا انفكـت تتـراكم على مـدى سنين طـويلة بالصنـاديق الاجتماعيـة كالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي والصندوق الوطني للتقاعد والحيطة الاجتماعية.

لقد اضطرت الدولة إلى ضخ أموال هامة بهذه المؤسسات والصناديق الاجتماعية متأتية خاصة من البنوك الوطنية، وبطبيعة الحال فإن الاعتمادات التي صرفت لضمان تواصل نشاط هذه المؤسسات والصناديق قد قلصت من فرص الاستثمار، لأن البنوك الوطنية قد سخرت أغلب إمكانياتها المالية لمواجهة هذا الوضع، فتحمل هذه البنوك لتبعات الأعباء المالية لهذه المؤسسات أضرّ كثيرا بدور البنوك في الاستثمار نظرا إلى أن البنوك الوطنية الثلاثة تؤمن نصف رقم معاملات المؤسسات المالية بالبلاد تقريبا.

يبدو حينئذ أن الوضع المالي للصناديق الاجتماعية هو وضع شديد التأزم، وهذا الوضع ناتج عن أسباب متعددة : أولها عدم ملائمة منظومة التغطية الاجتماعية اليوم مع المعطيات الديمغرافية بالبلاد ، فقد تغير الهرم السكاني خلال العقدين الأخيرين تغييرا جذريا، وبعد أن كان هذا الهرم في أواخر القرن الماضي ذو قاعدة عريضة حيث أن أغلب السكان كانوا من الشباب، فقد هذا الهرم اليوم مواصفاته الأصلية نتيجة ارتفاع عدد المسنين، فقد وقعت إقامة منظومة الضمان الاجتماعي في الستينات والسبعينات على أساس أن هنالك متقاعد واحد لكل خمسة أفراد نشيطين، وبالتالي كانت المساهمات الاجتماعية منخفضة نسبيا، ولكن هذه المعادلة تغيرت اليوم وأصبح هنالك متقاعد لكل ثلاثة أفراد نشيطين، ويتوقع أن يحتد الوضع

ابرزت ميزانية الدولة لسنة 2016 تراجع العجز في الميزانية، وقد بدا هذا التراجع منذ ميزانية 2013 وذلك تحت تأثير المؤسسات المالية الدولية، فقد كان العجز سنة 2013 في حدود 6,8 % من الدخل الوطني الخام ليتراجع سنة 2014 إلى حدود 4,1 مليار دينار أي ما يعادل 4,9 في المائة من الدخل الوطني الخام، وتواصل هذا التراجع سنة 2015 ليستقر في حدود 4,5 % وهي نسبة أقل من النسبة المتوقعة في قانون المالية لسنة 2015.

الاجتماعي انطلاقا من سنة 2025 ليصبح هنالك متقاعد لكل شخصين نشيطين.

أما من جهة أخرى فإن المساهمات الاجتماعية التي تدفع اليوم أصبحت لا تغطي الجرايات المدفوعة وهو ما يفرض إعادة تنظيم هذا القطاع قبل أن تنهار المنظومة بأسرها .

صحيح أن البنوك العمومية تستغل حاليا لضخ الأموال اللازمة للصناديق الاجتماعية لخلاص الجرايات، لكن الوضع لا يمكن أن يتواصل بهذا الشكل وهو ما يفرض إدخال تغيير جذري على منظومة الضمان الاجتماعي.

لو أجرينا مقارنة بين النظام المعتمد في تونس، والأنظمة الاجتماعية في البلدان الأجنبية لوجدنا أن هنالك منظومتين مختلفتين:

فهنالك المنظومة التي يعتمدها النظام الانقليزي والتي تعرف بنظام الرسملة، أي أن الفرد يساهم في منظومة الضمان الاجتماعي وتقوم إدارة الصندوق باستثمار هذه المساهمات في شتى القطاعات المربحة، فتقوى عائدات الصناديق الاجتماعية وهو ما يمكن هذه الصناديق من دفع جرايات للمنخرطين متأتية من المساهمات ومن الأرباح المسجلة.

وهنالك المنظومة المتبعة بفرنسا وهي التي تقوم على فكرة التضامن وهو ما يجعل الفرد يدفع مساهماته حتى يتمتع بها متقاعد آخر على أن يأتي الوقت لينتفع هو بجراية التقاعد من مساهمات الأجيال المقبلة، وهذه الطريقة هي التي تتبعها الصناديق الاجتماعية بتونس، ولو أنه في مجال ضيق وقع بعث صندوق التأمين على الشيخوخة الذي يسند جراية تقاعد تكميلية على أساس منظومة الرسملة.

لقد أثبتت المنظومة المعتمدة في تونس بالنسبة للتغطية الاجتماعية قصورها، لأن الصناديق الاجتماعية لم تعد تملك اليوم أي احتياطات مالية أو عقارية، كما أنها لا تملك استثمارات أو رقاع دولية وهو ما يهدد مواصلة دفع الجرايات في غياب المدّخرات المالية، لقد وصلنا إلى هذا الحد لأسباب متعددة منها ضعف المساهمات الاجتماعية وعمليات الخوصصة التي تمت في عديد من الحالات لمؤسسات عمومية، فوقع تسريح عمال هذه المؤسسات وإحالتهم على التقاعد قبل بلوغ السن القانونية.

اعتمدت الدولة، والحالة هذه، على ضخ الأموال في هذه الصناديق عن طريق المؤسسات المالية العمومية، لكن بلغ اليوم عجز هذه الصناديق حدا غير مقبول إذ وصل في حدود 2015 إلى ما يناهز 1,1 مليار دينار، ويتوقع أن يصل هذا العجز إذا ما استمر الوضع على هذه الحالة إلى 4,6 مليار دينار في حدود سنة 2020 .

إن التقارير المالية تبيّن أن الصندوق الوطني للتقاعد والحيطة الاجتماعية لم يعد يملك اليوم أي احتياطي مالي، في حين أن الاحتياطي الذي يملكه صندوق الضمان الاجتماعي لا يغطي أكثر من جرايات ستة أشهر.

أسباب العجز كما أشرنا هي متعددة، ومن أهمها ضعف المساهمات الاجتماعية المدفوعة وارتفاع عدد المتقاعدين نتيجة لتهرم سكان البلاد، وارتفاع نسبة الأمل في الحياة، وتزايد

عـــدد المحالين على التقاعد قبـــل الأوان إثر عمليـــات الخـــوصصة لعديـــد مـــن الشركات ذات المساهمة العمومية، ويضاف لذلك تدني دفع المساهمـــات الاجتماعية مـــن طـــرف المؤسسات العمومية وحتى الخاصة نتيجة الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعيشه المؤسسة الاقتصادية بالبلاد، وهذه الأسباب تحتم اليـــوم مراجعـــة باتت جدّ متأكدة لمنظومـــة الضمـــان الاجتمـــاعي حتى لا تتوقف هـــذه الصنـــاديق في يوم من الأيام عن دفع جرايات المتقاعدين .

وللخروج من هذا الوضع فإن الأمر لا يخلو من حلين: إما الترفيع في نسبة المساهمات والتمديد في سن التقاعد ليصل إلى خمسة وستين عاما، بعد أن ارتفع الأمل في الحياة، وتحسين طريقة الاستخلاص واتباع سياسة أكثر صرامة بالنسبة للمؤسسات والأشخاص الذين لا ينخرطون في الصندوق أو يصرحون بأجور أقل من قيمتها الحقيقية، مع الإشارة إلى أن نسبة كبيرة من المساهمات الاجتماعية الحالية هي غير خالصة خاصة بالنسبة للمؤسسات العمومية والدواوين، أو التخفيض في قيمة الجرايات وهو أمر صعب للغاية ويتنافى مع مبدإ هام وهو الحق المكتسب.

إذا ما استبعدنا هذه التصورات التي تبدو مؤلمة للغاية، فإنه يكون من الأنجع مراجعة المنظومة الاجتماعية بطريقة أخرى، وذلك بإقرار ضريبة اجتماعية على غرار ما وقع اعتماده بفرنسا، حيث بدأ إقرار هذه الضريبة في حدود 1% عن كل المداخيل لتصل اليوم إلى 9% ، وهي تطبق على كل المداخيل دون أي تدرج كما أنه من الممكن اعتماد طريقة جديدة في التغطية الاجتماعية، تقوم على المزج بين النظام الفرنسي والنظام الإنقليزي حيث تكون جراية التقاعد مبنية على مناصفة، النصف الأول قار يقوم على أساس النظام التضامني، والنصف الثاني متغير يقوم على أساس نظام الرسملة.

إنها تصورات تحتاج إلى دراسة معمقة قبل أن نصل إلى سنة 2025 عندما يصبح هنالك متقاعد لكل نشيطين.

إلى جانب العجز الذي تلاقيه الدولة من جراء المنظومة الاجتماعية الحالية، فهنالك عجز متراكم للمؤسسات العمومية وهي مؤسسات متعددة يتصدرها ديوان الزيت والخطوط الجوية التونسية ومعمل تكرير النفط ببنزرت ومعمل الفولاذ ومعمل الحلفاء بالقصرين وعدد كبير من شركات النقل. فقد بلغ العجز سنة 2010 إلى حدود مليار دينار، وهذا العجز تفاقم اليوم عمّا كان عليه الوضع سنة 2010، بعد أن التحق ديوان التبغ والوقيد بقائمة المؤسسات التي تعيش عجزا ماليا كبيرا، ولم تعد الدولة قادرة على مجابهة الوضع خاصة بعد تدني مداخيل المجمع الكيميائي التونسي ومداخيل الشركات البترولية العاملة بتونس.

بالرغم من حرص الدولة على تحديد نسبة العجز في الميزانية عند قيامها بإعداد ميزانية 2016، فإن هذا الحرص تقابله مخاطر متزايدة بسبب ارتفاع نسبة العجز العمومي جراء الوضعية الصعبة التي تعيشها مؤسسات الضمان الاجتماعي والمؤسسات العمومية، وهو ما يفرض فتح هذين الملفين والتفكير في بدائل جديدة من شأنها أن تحمي منظومة الضمان الاجتماعي من الانهيار، لأنّ بقاءها أمر أكثر من ضروري لطبيعة دورها المعاشي، يضاف إلى ذلك ضرورة التفكير في طريقة لإنقاذ المؤسسات الوطنية التي أصبحت مهددة بالتوقف عن الدفع لولا مساندة الدولة لها.

إن توصيات المؤسسات المالية الدولية يتجه كالعادة نحو إعادة هيكلة هذه المؤسسات، ونعني بذلك خوصصتها، ولكن هذه الحلول قد لا تكون مجدية في الوقت الحالي وربما يكون من الصالح التفكير في تحويلها إلى مؤسسات مشتركة يتواجد فيها رأس المال العام والخاص، أما السكوت على هذا الوضع فإنه أصبح أمرا لا يطاق، لأن الدّين الذي وصلت إليه الخطوط الجوية التونسية، على سبيل المثال، قد تجاوز الآن المليار دينار .

الوضع إذن صعب والمعالجة باتت جدّ ضرورية.■

ع.ك

الشركة التونسية للتأمين و إعادة التأمين ستار

المقر الإجتماعي حديقة شارع باريس – 1080 تونس

الهاتف : 866 340 71 (216+) - الفاكس : 835 340 71 (216+)

عنوان البريد الإلكتروني : star@star.com.tn

www.star.com.tn

يوميات مواطن عيّاش

عيد الحب...عيد وطني؟

بقلم عادل الأحمر

حدثني صديقي العيّاش، وكيف حلاوة كلامو ماثماش، قال : «كنت في ما مضى من العمر، أعتبر شهر فيفري أرحم شهر، لأنه خفيف نظيف، يأتي – مع قصره- بين جانفي الثقيل ومارس الطويل...» قد تقولون : «وهل لفارق يومين أو ثلاثة بين الشهور أهمية ؟»، فأجيب : «إن المسألة لا تعدو أن تكون نفسية، والأمور في كل شيء نسبية، وكذلك الطول والقصر، في حياة البشر».

لكن أمرا طرأ في السنوات الأخيرة، غير علاقتي بشهر فيفري الأثيرة. إنه عيد الحب، ذلك الذي لم نكن نعرفه في صحف ولا في كتب، فإذا به- ودون أن ندري- يتسرب إلى حياتنا، ويدخل شيئا فشيئا إلى عاداتنا، وإذا ببعضنا يعد له البرامج والمواكب، ويستقبله بالاحتفالات والمآدب، ويشتري للأحبّة الهدايا والزهور، والقلوب كلها بهجة وحبور.

قال العياش: ولا تظنوا أن لي مشكلة مع فكرة هذا العيد، فأنا بها- على عكس ما قد تعتقدون- مسرور سعيد. فالحب، على رأي ابن حزم الأندلسي، «ليس بمنكر في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة»، وأنا مع فقيهنا الجليل، سيما وكلامه لا يقبل أي تأويل.

لكن مشكلي مع هذا العيد مشكل لديكم ولدى الجميع معروف. نعم، المسألة لا تعدو أن تكون مسألة مصروف، إذ لا بدّ في هذه المناسبة من هدية فاخرة، ومأدبة عشاء زاخرة، وتلك مصاريف ترهق كاهل الميزانية، وهي التي لاتزال تعاني تبعات الاحتفال بالسنة الميلادية.

وإذا تجاوزت قضية انخرام الميزانية وتراكم الديون، وقلت : «في سبيل الحب كل شيء يهون»، تبقى مع ذلك مشكلة المشكلات، ومعضلة المعضلات: ماذا أهدي «المدام» في هذا العيد، لأعبر لها عن حبي الشديد؟ فأغني مع علي الرياحي ملك الطرب: «احترت آش نهدي لك يا حلوّة يوم العيد قرب»، أو أردد مع ناظم الغزالي، وقد نطق بلسان حالي :

أي شيء في العيد أهدي إليك
يا ملاكي وكل شيء لديك

وعندما أهتدي أخيرا إلى حل القضية، ويجود عقلي بفكرة هدية، أجد نفسي كل عام إزاء أزمة ضمير، لا بدّ لي أن أعيشها قبل تقرير المصير : فهذا جاري الذي على يميني يقول لي إن هذا العيد بدعة من بلاد الكفّار، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وهذا جاري الذي على يساري يقول لي إنها «طلعة» رأسمالية، اخترعها تجار الغرب لتنشيط الدورة الاقتصادية، وما نحن في نهاية الأمر إلا ضحية لعبة استهلاكية.

لكنني أسدّ أذنيّ على هذا وذاك، وأمضي بنفسي إلى «نار جهنم» و«فخ الاستهلاك»، وأنا بهما فرح مسرور، أردد ما قاله ذلك المتصوّف المشهور[*]:

أدين بدين الحب أنّى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني

قال العيّاش: ومع مرور السنوات، وأنا أحتفل بعيد الحب، حصل لي انطباع قوي بأنه أحد أعياد الشعب، فما ضرّ حكومتنا الأبية، لو أضافت «سيدي فالنتان» إلى قائمة أعيادنا الوطنية ؟ فالحب هو الجامع بين التونسيين والتونسيات، بقطع النظر عن المذاهب والإيديولوجيات. ولو أسّس للحب حزب ببلادنا لأصبح حزب الأغلبية بعد بضع سنوات!■

ع.ل.

[*]محيي الدين ابن عربي

تونس وأفريقيا : الفرص والآفاق

بقلم عبد الحفيظ الهرقام
مبعوث ليدرز إلى أديس أبابا

عندما يجوب الزائر بهو مبنى الاتحاد الأفريقي الفخم بأديس أبابا يقع نظره على مجموعة من الصور علقت على أحد الجدران الخارجيّة لقاعة الاجتماعات الكبرى.. هي صور قادة أفريقيا وعظمائها، وفي مقدّمتهم أولئك الذين أعلنوا قيام منظمة الوحدة الأفريقيّة في 25 ماي 1963 في العاصمة الأثيوبيّة. منذ ذلك التاريخ أصبحت أديس أبابا مقرّ المنظمة التي تحوّلت بعد انعقاد قمّة ديربن، بجنوب أفريقيا، في ماي 2002 إلى الاتحاد الأفريقي، حرصا على مواكبة المتغيرات العميقة التي شهدتها القارة وسائر التجمعات الأقليميّة، وتكريسا للتوجّه نحو تحقيق الاندماج الاقتصادي بين دولها وتمتين نسيج المصالح المتبادلة بينها. تعيدك الصور إلى حقبة منعشة، يمتزج فيها الحلم بالواقع، هي ملحمة بناء صرح وحدة أفريقيا ووضع أسس التضامن والتآزر بين شعوبها، وأبطال تلك الملحمة : كوامن نكروما وهوفوات بوانيي ولييوبلد سيدار سنغور وجمال عبد الناصر والحبيب بورقيبة وغيرهم.

يذكر الأفارقة بوافر الامتنان والتقدير مساهمة الرئيس التونسي الراحل في تأسيس منظمة الوحدة الأفريقيّة ودعم تونس المستقلّة لحركات التحرير في أفريقيا ومناهضتها لنظام الميز العنصري في جنوب القارة، وهو ما أثنى عليه الزعيم الكبير نيلسون منديلا في أكثر من مناسبة.

كان بورقيبة من بين الآباء المؤسسين لمنظمة الوحدة الأفريقيّة ومثّلت جولته إلى عدد من بلدان القارة سنة 1965 عنوان انفتاح على شؤونها، واحتضنت تونس في عهد الرئيس الراحل مهرجان الشباب الأفريقي واستضافت سنة 1994 مؤتمر القمّة الأفريقيّة وترأست المنظمة لمدّة عام..هكذا يقول التاريخ. لكن اليوم كيف يقيّم الأفارقة تفاعل تونس مع قضايا أفريقيا وكيف ينظرون إلى حضورها في الاتحاد الأفريقي، خاصّة، وفي الفضاء القاري، سياسيّا واقتصاديّا بوجه أعمّ ؟ وهل لتونس سياسة أفريقيّة؟

حضور باهت ومستوى تمثيل متقلّب

كثيرا ما يتساءل ملاحظون، من أوساط مختلفة، عن مدى عزم تونس على تعزيز مقوّمات بعدها الإفريقي من خلال وضع خطط تحرّك، ممتدّة في الزمن، تنبع من قراءة متبصّرة للأوضاع الاقتصاديّة والسياسيّة وطنيّا وأفريقيّا، وتستند إلى رؤية مستقبلية بغية التموقع في الساحة القاريّة بأكبر قدر من النجاعة والفاعليّة خدمة لمصالحها.

ومن دواعي هذا التساؤل ما بان لهؤلاء الملاحظين بالخصوص من حضور تونسي باهت أحيانا في اجتماعات الاتحاد الأفريقي وأنشطته ومن تقلّب درجة التمثيل في القمم الأفريقيّة والتي قليلا ما كان يشارك فيها رئيس الجمهوريّة، قبل 14 جانفي 2011. وعلى الرغم من مشاركة الرئيس الباجي قايد السبسي في القمّة المنعقدة في

جانفي 2015 بأديس أبابا والتي أكّد خلالها أنّ «تونس مصمّمة على استعادة مكانتها وعلاقاتها التاريخيّة مع دول القارة سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وتدارك ما شاب هذه العلاقات من نقائص في السنوات السابقة حالت دون تحقيق فرص شراكة فعلية»، وعلى الرغم كذلك من مشاركة الرئيس المؤقت الأسبق المنصف المرزوقي في عدد من القمم، فإنّ تونس لم تقدر إلى حدّ الآن على إعطاء الانطباع بأنها شرعت بجدية وتصميم في إعادة بناء علاقاتها مع الاتحاد الأفريقي والدول الأفريقيّة في مختلف المجالات. ولعلّ ما كرّس هذا الانطباع غياب رئيس الجمهورية المؤقّت عن الاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس منظمة الوحدة الأفريقيّة في ماي 2013، وتراجع مستوى التمثيل في القمتين الأفريقيّتين الأخيرتين في جوهانزبورغ وأديس أبابا.وغالبا ما يكون مستوى التمثيل في اجتماعات الاتحاد الأفريقي معيارا يقاس به مدى اهتمام دولة من دوله الأعضاء بشؤونه وانخراطها في مسيرته وتفاعلها مع قضايا القارة. والأفارقة بحكم طبعهم شديدو الحساسيّة، في الحقيقة، تجاه مسألة التمثيل التي يرون فيها علامات ومؤشّرات على أساسها يحصل الانطباع وتبنى المواقف. وقد يتغلّب الظاهر على الباطن في عالمي السياسة والدبلوماسيّة.

«مستقبل تونس في أفريقيا»

وممّا يؤكّد الانطباع الذي سبقت الإشارة إليه ما ورد في مقال هامّ باللغة الفرنسية قرأته وأنا أتابع أعمال القمّة الأفريقيّة المنعقـدة مـن 30 إلى 31 جـانفي الماضي في أديس أبابا، وصاحبه خبير دولي، وهو كارلوس لوبيز (Carlos Lopes) الأمين العام المساعد للأمم المتحدة والأمين التنفيذي للجنة الاقتصاديّة لأفريقيا وقد اختار للمقال عنوانا جذّابا وهو : «مستقبل تونس الاقتصادي في أفريقيا».

بعد أن بيّن كارلوس لوبيز أنّ الطلب المتنامي للمنتوجات المعمليّة ومختلف الخدمات تمثّل رافعة مهمّة لتغيير اقتصاديات القارة، أكّد أنّ «ما نلحظه هو أنّ رافعات التغيير الهيكلي لتونس توجد في أفريقيا».

وأضاف:«تونس، ليست اليوم، للأسف الشديد، ضمن البلدان الأكثر اندماجا في القارة الأفريقيّة. ففي مستوى التصدير نحو أفريقيا، تحتلّ تونس المرتبة 29 في القارة. وفي مجال الاستثمار تحتلّ المرتبة 28 في ما يخصّ جاذبيّة الاستثمارات الخارجيّة، على الرغم من بيئة قانونيّة تعتبر الأكثر تحفيزا في أفريقيا».

وأكّد كارلوس لوبيز أنّ اتفاق التبادل الحرّ، الذي انطلقت المفاوضات بشأنه في جوان 2015 بالقاهرة والذي سيدخل حيّز التنفيذ سنة 2017، سيمكّن من دفع الصادرات التونسيّة في مجال المواد المصنّعة. وقد تمثّل هذه المواد 48 بالمائة من الصادرات التي قد تبلغ قيمتها 2,3 مليار دولار إلى غاية 2020.ويمكن مضاعفة هذا الرقم (4,24 مليار دولار) إذا اتخذت إجراءات لتسهيل التجارة. ومن شأن هذه الإجراءات، في اعتقاده، أن تزيد في حصّة المواد المصنّعة في الصادرات التونسيّة نحو أفريقيا وأن تساهم في خلق المزيد من مواطن الشغل.

وأوضح، من ناحية أخرى، أنّه لا يمكن لتونس أن تستفيد من اتفاقية بالي للمنظمة العالميّة للتجارة (المتعلّقة بتسهيل التجارة) إلّا من خلال الاندماج الجهوي في منطقة المغرب العربي وفي مناطق أخرى من القارة، مؤكّدا أنّه بإمكان تونس أن تضطلع بدور، على الصعيد الأفريقي، لاسيّما في قطاع السياحة، وذلك بالتوجه نحو السوق الأفريقيّة إثر الهجمات الإرهابيّة التي أضرّت بهذا القطاع. ولاحظ أنّ 72,5 بالمائة من مداخيل السياحة في جنوب أفريقيا تأتي من القارة. كما أشار كارلوس لوبيز إلى أنّ لتونس قدرة على الاندماج الاقتصادي في أفريقيا من خلال قطاعات ذات قيمة مضافة في مجال الخدمات كالسياحة الاستشفائية والتعليم العالي والهندسة والاستشارات.

استراتيجية متكاملة للتموقع في الفضاء الأفريقي

على الرغم من الجهود المبذولة منذ سنوات عدّة من أجل تنمية المبادلات التجاريّة مع أفريقيا ورفع حصص الصادرات نحوها من

خلال تعدّد البعثات الاقتصاديّة إلى دول من القارة ، فإنّ حجم هذه المبادلات لم يتجاوز 700 مليون دينار، في حين تفيد بعض المصادر أنّ حجم مبادلات المغرب التجاريّة مع أفريقيا يقدّر بـ 7 مليار دولار، وأن نسبة صادرات هذا البلد نحو الأسواق الأفريقيّة تمثّل 10 بالمائة من مجمل الصادرات، وهي نسبة مرشحة للزيادة لتصل سنة 2018 إلى 20 بالمائة.

ولا شكّ أنّ تونس لم تتوصّل إلى حدّ الآن إلى وضع استراتيجيّة متكاملة للتموقع بأكثر فعالية في الفضاء الأفريقي والاستفادة من الإمكانات الاقتصادية التي تتوفّر في العديد من بلدان القارة التي ارتفعت نسب نموّها في السنوات الأخيرة بصورة ملحوظة، على نحو يسمح لها بتنويع شركائها، في الوقت الذي تشهد فيه عديد دول الاتحاد الأوروبي، الشريك الأوّل، ركودا اقتصاديّا.

وتقوم هذه الاستراتيجية ، في نظرنا، على ثلاثة محاور مترابطة، لها في الآن نفسه بعد سياسي وبعد دبلوماسي وبعد اقتصادي. ويتطلّب تنفيذها تخطيطا محكما ووسائل وإمكانات لا مناص من توفيرها .

1 ـ البعد السياسي

غنيّ عن البيان أنّ أيّ سياسة خارجيّة لا يمكن أن يكون لها تأثير وصدى إلّا متى تجسّمت المبادىء والثوابت التي ترتكن إليها على أرض الواقع، ووظّفت أحسن توظيف في خدمة مصالح البلاد الحيويّة من خلال مواقف صائبة وخطط عمل مجدية، وإلّا فإنّها ستتحوّل إلى أدبيات وشعارات تصلح فقط لصياغة الخطب والتصريحات.

وقد دأب المسؤولون منذ الاستقلال على تأكيد تمسّك تونس بانتمائها الأفريقي واهتمامها بشواغل القارة وتضامنها مع شعوبها، لكن الخطاب لا يقترن دوما بالفعل، وكثيرا ما تتعطّل المبادرات ومسارات التحرّك في اتجاه أفريقيا بسبب انعدام المتابعة وغياب الرؤية الاستشرافيّة وعدم استقرار الإطار المشرف على الشؤون الأفريقيّة صلب وزارة الشؤون الخارجيّة. وقد سعت الدبلوماسيّة التونسيّة في الحقيقة، منذ العهد البورقيبي ، إلى بناء قواعد لسياسة أفريقيّة من خلال ما تراكم لدى إطاراتها وأعوانها من تجارب وخبرات في تعاملهم مع شؤون القارة، غير أنّ ما حال دون التقدّم في بلورتها ووضعها موضع التنفيذ ضعف الإيمان بالخيار الأفريقي، كأحد خيارات تونس الجوهرية، مقابل التوجه، بالدرجة الأولى، إلى المحيط الأوروبي والمتوسطي. ولئن كان لهذا التوجّه في السابق دوافع ومبرّرات يمكن تفهّمها، فإنّ واقع أفريقيا السياسي والاقتصادي الجديد وحاجة البلاد الملحّة إلى الانفتاح على فضاءات، خارج دائرة شركائها التقليديين، يحتّمان العمل على إقرار سياسة أفريقيّة فاعلة ورفدها بما يلزم من موارد بشريّة وماليّة ووسائل تحرّك دبلوماسي ناجع. وكان من الأجدى، في تقديرنا،الإبقاء، في إطار التحوير الوزاري الأخير، على كتابة الدولة للشؤون العربيّة والأفريقية، صلب وزارة الشؤون الخارجيّة، اعتبارا لحجم الأعباء الملقاة على كاهل الوزير والتزاماته العديدة في الخارج من ناحية، وبالنظر إلى ما تستوجبه الملفات العربية والأفريقية من متابعة ومشاركة على المستوى الحكومي في الاجتماعات على الصعيدين الثنائي ومتعدّد الأطراف، في صورة ما تعذّر على الوزير حضورها، من ناحية أخرى.

2 ـ البعد الدبلوماسي

أ-على الصعيد الثنائي

من أهداف الاستراتيجية التي يتعيّن تحقيقها تعزيز العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة مع الدول الأفريقيّة، وتوسيع دائرتها لتشمل سائر بلدان القارّة. وفضلا عن تبادل الزيارات في أعلى مستوى وعقد اجتماعات اللجان المشتركة والسهر على متابعة تنفيذ ما تسفر عنه من اتفاقيات تعاون في مختلف المجالات وتمكين عدد من الطلبة الأفارقة من منح تخوّل لهم مزاولة دراستهم في تونس بما يجعلهـم بعد تخرجهـم دعاة لبلادنا وأنصارا لها في المستقبل، يجدر السعي إلى تكثيف الحضور الدبلوماسي في مختلف مناطق القارة، من خلال فتح سفارات، ولو بصورة تدريجية، في دول لها من الإمكانات الاقتصاديّة ما يسمح بترويج المنتوجات الوطنيّة في أسواقها، ويتيح إقامة شراكة فاعلة مع قطاعيها العام والخاص. ولا جدال في أنّ شبكة بعثاتنا الدبلوماسيّة الحاليّة ليست لها القدرة الكافية على ضمان التموقع المرجو في الفضاء الأفريقي، وعددها 8 بعثات فقط (باماكو وداكار وياوندي وأبيدجان وكينشاسا وأبوجا وأديس أبابا وبريتوريا) يضاف إليها تلك الموجودة في الدول العربيّة

LA PERLE DE CARTHAGE
Un Vrai Bijoux
إعمار
S+2, S+3
S+4 & S+5

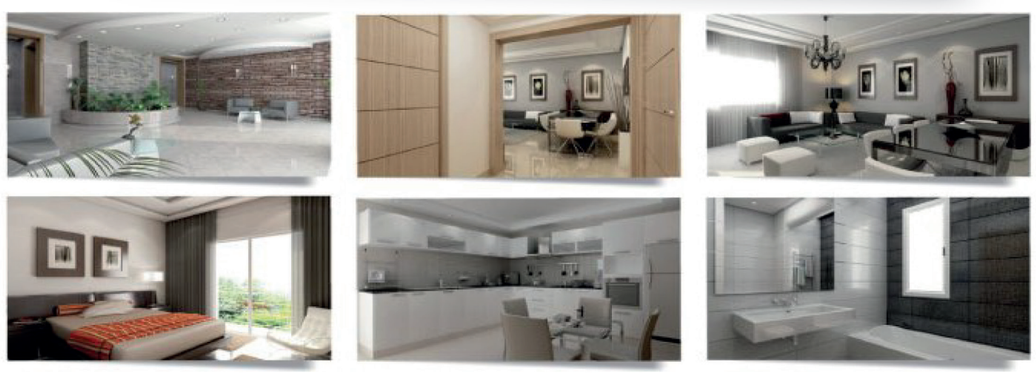

Un ensemble résidentiel de Haut Standing
situé aux «Jardins de Carthage»

Pour toute information, veuillez contacter:
La Société Tuniso-Koweitienne d'el Emar
Tél: 98 255 725 /94 885 794 / 71 967 123
www.stke-emar.com

الأفريقيّة، في حين لمصر 37 سفارة وللجزائر والمغرب 20 سفارة لكلّ بلد منهما.

ب- على الصعيد متعدّد الأطراف

مهما اختلفت الآراء حول مدى فعاليّة الاتحاد الأفريقي ومدى الاستفادة من برامجه وأنشطته، فهو يمثّل بلا شكّ كتلة سياسيّة مهمّة تتكوّن من 54 دولة أصبح لها شأن في الساحة الدوليّة، إذ تتسابق دول كالصين والهند وتركيا واليابان وتجمّعات أقليميّة كالاتحاد الأوروبي من أجل إقامة شراكات اقتصادية معه، خاطبة ودّه لما لدوله مجتمعة من وزن ولأصواتها من بالغ التأثير في نتائج الانتخابات المتعلّقة بالمناصب القياديّة والهيآت واللجان صلب الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصّصة.

واعتبارا لذلك، فإنّه من المهمّ أن يكون لتونس مشاركة فاعلة، وفي المستوى المناسب، في مختلف اجتماعات الاتحاد وتمثيل في هياكله القياديّة.وعلى الرغم من أنّ حصّة تونس من المناصب في الاتحاد الأفريقي حدّدت بـ 17منصبا، فإنّ عدد الموظفين الذين يعملون حاليا في مفوضية الاتحاد في أديس أبابا وفي تمثيلياته بالخارج لا يتجاوز 8 موظفين، أعلاهم رتبة السفير السابق عادل السماوي الذي يشغل خطّة مستشار لدى نائب رئيس المفوضيّة الأفريقيّة، وقد تقلّص العدد في الأشهر الأخيرة بعد انتهاء مهمة السيدة حبيبة الماجري، التي كانت ترأس إدارة الإعلام والاتصال.

ولا بدّ من أن تبذل الدبلوماسيّة التونسيّة قصارى جهدها من أجل استكمال حصّة تونس من الانتدابات والتفكير بجديّة في ترشيح سيّدة من الكفاءات لإحدى المفوّضيات وقد يكون من المناسب أن تترشح لمنصب مفوّضة للبنية التحتيّة والطاقة والذي جرت العادة أن تحتلّه إمرأة، إلى جانب تقديم ترشيح لمنصب مدير الإعلام والاتصال الشاغر حاليا. وسيجرى انتخاب مفوضين ومديرين جدد في شهر جوان القادم في كيغالي، عاصمة رواندا، بمناسبة انعقاد القمّة في دورتها السابعة والعشرين.

***3* - البعد الاقتصادي**

لتجاوز المبادرات الظرفيّة المتمثّلة في بعثات المصدرين ورجال الأعمال وإقامة معارض للمنتوجات التونسيّة، يستوجب الاندماج في الفضاء الاقتصادي الأفريقي توفّر آليتين ضروريتين، وهما النقل الجوّي والبحري والمنظومة البنكيّة، بالإضافة إلى أهميّة السند الدبلوماسي الذي سبق ذكره.

ففي ما يخصّ النقل الجوّي، تبقى الحركة محدودة ،إذ تقتصر رحلات شركة الخطوط الجويّة التونسيّة في اتجاه البلدان الأفريقيّة، إذا ما استثنينا بلدان المغرب العربي ومصر، على أربعة عواصم وهي باماكو وداكار وواقدوقو وأبيدجان.

وقصد تيسير نقل البضائع والمسافرين، قد يكون من المفيد توسيع نطاق رحلات الناقلة الوطنيّة بعد إعداد دراسة جدوى بشأن فتح خطوط جديدة وتشجيع الشركات الخاصّة على المساهمة في توسيع الشبكة.

أمّا بالنسبة إلى النقل البحري، فقد يكون كذلك من المناسب دعوة الناقلين الخواص إلى فتح خطين في اتجاه ميناء دوالا في الكاميرون، غرب القارة، وميناء جيبوتي، في القرن الأفريقي.

ومن البديهي أنّ المنظومة البنكية تضطلع بدور هامّ في تسهيل التجارة والمعاملات الماليّة، ممّا يستدعي التفكير في الصيغ الملائمة لتحفيز القطاع البنكي، العام والخاص، إلى فتح فروع أو استحداث مؤسسة بنكيّة في أفريقيا لرفد الصادرات التونسية نحو بلدان القارة وتطوير التجارة البينيّة الأفريقيّة.

ذلك ما أوحت لي به زيارتي الأخيرة إلى أديس أبابا بمناسبة انعقاد القمّة الأفريقيّة السادسة عشرة للاتحاد الأفريقي والتي مكّنتني من الوقوف على ثقة القادة الأفارقة في مستقبل قارتهم التي يريدونها، من خلال ما أقرّوه، في إطار الأجندة 2063، من رؤية وخارطة طريق مشتركتين ، قارة «مندمجة، آمنة، مزدهرة ، يحكمها مواطنوها، وتمثّل قوّة فاعلة في الساحة الدوليّة». وعلى تونس التي أعطت اسمها للقارة أن تعمل جاهدة، سياسيًا ودبلوماسيًا واقتصاديًا، أن تكون طرفا مشاركا في هذا البناء بكلّ ما يتيحه لها ذلك من فرص وآفاق.■

ع.هـ

القطب التنموي ببنزرت
PÔLE DE COMPÉTITIVITÉ DE BIZERTE

ESPACES INDUSTRIELS MULTISECTORIELS
EL AZIB-BIZERTE

66 Hectares
Aménagés pour accueillir vos projets

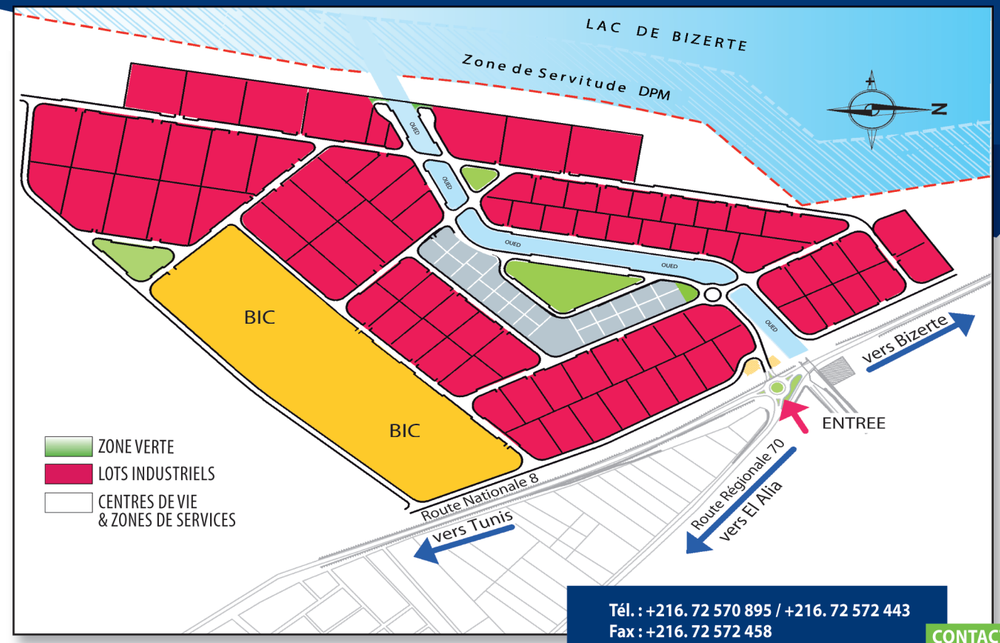

Tél. : +216. 72 570 895 / +216. 72 572 443
Fax : +216. 72 572 458
E-mail : polebizerte@topnet.tn

CONTACT

ESPACES INDUSTRIELS MULTISECTORIELS EL AZIB

Les espaces industriels du **POLE DE COMPETITIVITE DE BIZERTE** totalisent **150 hectares dont 66 ha à El Azib sur le bord du lac de Bizerte.** Ces espaces sont à usage multisectoriel. Ils sont conçus aux normes internationales offrant des infrastructures et des services de qualité répondant aux exigences des investisseurs locaux et étrangers.

PROXIMITÉ

Le site se situe à :
- **15 mn** du centre ville de Bizerte.
- **15 mn** du port de commerce de Bizerte.
- **15 mn** de la gare ferroviaire de Bizerte.
- **45 mn** de l'aéroport international Tunis-Carthage.
- **50 mn** du centre ville de Tunis.

Il est desservi par l'autoroute A4 de Tunis-Bizerte ainsi que la route Nationale GP8.

COMMODITÉS ET INFRASTRUCTURES

Les espaces industriels multisectoriels EL AZIB ont été conçus et réalisés selon les meilleurs normes et standards internationaux. Ils sont totalement viabilisés. Leur aménagement comprend :

- Voiries et Parkings.
- Réseaux eaux potables.
- Réseaux des eaux usées et pluviales.
- Réseaux électriques de moyenne tension et éclairage public.
- Réseaux téléphoniques
- Réseaux de télécommunication à haut débit.
- Espaces verts.
- Centre de vie.

• Ils constituent un ensemble cohérent et attractif de nature à accroître la notoriété des activités à installer et offrir un cadre de travail motivant.
• Le PÔLE DE COMPÉTITIVITÉ DE BIZERTE met un accent particulier sur la maintenance et l'entretien des infrastructures.

VIS-À-VIS UNIQUE

Pour mieux répondre aux besoins des investisseurs et leur offrir un maximum de facilités, le PÔLE DE COMPÉTITIVITÉ DE BIZERTE est le vis-à-vis unique pour toutes les formalités administratives et les interventions techniques.

www.pole-competitivite-bizerte.com.tn
Boulevard de l'Union du Grand Maghreb Arabe
7080 Menzel Jemil - Bizerte - TUNISIE

شؤون دولية

ارتسامات جزائرية: «وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر»...

بقلم محمد ابراهيم الحصايري
مبعوث ليدرز إلى الجزائر

من خلال ما سمعت ورأيت وقرأت على امتداد الأيام الخمسة التي قضيتها في الجزائر في مطلع شهر فيفري الجاري، أحسستُ بأن الجزائريين، خاصّة وعامّة، يجمعون على أن بلادهم تقف اليوم في مفترق طرق متشعّب ومزدحم ومضطرب الحركة، ينبغي أن تعجّل بالخروج منه باختيار الطريق القويم الذي يمكن أن يفضي بها إلى أبواب المستقبل المأمول...

وهكذا

هو الشأن في كلّ مجتمع حيّ، فإن رؤية الجزائريين لأوضاع بلادهم تتنوَّعُ بتَنَوُّعِ أطيافهم، غير أن القاسم المشترك الذي يظلّ يؤلّف بينهم جميعا هو الحرص على سلامة الجزائر وأمنها ووحدة ترابها وشعبها، وهم لذلك يقابلون التحديات الماثلة على الأصعدة السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية بالشعار الذي كان رفعه أباؤهم وأجدادهم إبّان معركة التحرير: «وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر»...

وهم يتّفقون على أن رفع هذه التحديات يتطلب شن «معركة إصلاحية» قادرة على تحرير البلاد من كوابح نهوضها المنشود، بفضل إصلاحات حقيقية شاملة لا يقررها النظام بطريقة فردية فَوْقِيَّة، ولا يفرضها الشارع بالعنف والفوضى، وإنما تكون ثمرة إستراتيجية يتم رسمها بصورة جماعية ثم تنفيذها بمشاركة كافة القوى الحية في البلاد...

ومن منطلق هذه الرؤية، يمكن فهم الجدلِ واسعِ النطاق الذي أثاره في داخل الجزائر وحتى خارجها، وسواء بسبَب محتواه أو بسبب الطريقة التي تم اعتماده بها، مشروع الدستور المنقّح الجديد الذي صادق عليه البرلمان الجزائري بغرفتيه يوم الأحد 07 فيفري 2016...

ومع ذلك وبالرغم من هذا الجدل، فإنّ المحلّلين يرون أن هذا الدستور يعكس استجابة من النظام لإرادة الإصلاح السياسي، ويشكّل مرحلة جديدة من التغيير الذي لا مَهْرَبَ من إضفائه على المشهد السياسي الجزائري، وإن بصفة متدرّجة وبجرعات محسوبة...

وفي الأثناء، ومن منطلق نفس الرؤية، يمكن أيضا فهم الجدل المُحْتَدِّ، في هذه الآونة، حول قصور سياسة البلاد الاقتصادية، وحول خيارات الإصلاح الاقتصادي الذي تزداد الحاجة إليه إلحاحا، يوما بعد يوم، مع تفاقم آثار الأزمة الناجمة عن تدهور أسعار البترول على الاقتصاد الجزائري وعلى ظروف عيش المواطنين.

إنّ هذه الأزمة التي أدّت إلى تقلّص موارد الدولة بشكل كبير، اضطرّت الحكومة إلى اتخاذ جملة من التدابير التقشّفية، وفرض سلسلة من

طويلة، إلى الاقتراض مما يخشى معه أن تقع تحت طائلة الضغوط التي اعتاد البنك العالمي وصندوق النقد الدولي أن يفرضاها على الدول التي تلجأ اليهما... لذلك يؤكّد الخبراء الاقتصاديون أن الحكومة ينبغي ألاّ تكتفي في معالجتها للأزمة الراهنة باتخاذ التدابير المؤقّتة التي تمكّنها من تخطي الصعوبات التي تعترضها بأقلّ التكاليف الاجتماعية الممكنة، وإنّما عليها أن تشرع في عملية إصلاح جذريّ وهيكلي للاقتصاد الوطني الجزائري حتى لا يظل قائما على مقوّم واحد ووحيد هو النفط، وحتى لا تظل مسيرة البلاد التنموية، باستمرار، رهينة لتقلّبات السوق النفطية.

ومعنى ذلك، كما يرى الخبراء، أن الجزائر بحاجة إلى العمل على بناء اقتصاد جديد متنوّع المقوّمات، وأنّ من واجب الدولة الجزائرية أن تعمل بالمثل القائل «ربّ ضارّة نافعة»، وأن تعكف على تحديد إستراتيجية اقتصادية تمكّن من استغلال مختلف الإمكانيات التي تزخر بها بلادٌ هي - بسواحلها الممتدّة على أكثر من 1.200 كلم وبمساحتها

الرسوم والضرائب الجديدة، وإقرار عدد من الزيادات في أسعار بعض المواد الإستراتيجية من أجل سدّ العجز في الميزانية العامة، وهو ما انعكس على وضع الطبقات المتوسّطة والفقيرة المعيشي، وليس من المستبعد أن يتسبب في إحداث بعض التململ في صفوفها...

وليس هذا فحسب، فالحكومة تجد نفسها مضطرّة أيضا إلى استهلاك المزيد من مدّخرات البلاد ومن احتياطيّاتها من العملة الصعبة، بل إنها قد تضطرّ، إذا ما استمر تراجع أسعار النفط لفترة

التي تبلغ 741 381 2 كلم² - أكبر دولة في القارّة الإفريقية والعالم العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط...

والأمر المؤكّدُ في نظر هؤلاء الخبراء أنّ الجزائر، إذا توفّرت لها الإرادة السّياسيّة الفاعلة، وقامت بوضع الخطط اللاّزمة، وحشدت العوامل المساعِدَة، تستطيع أن تطور قطاعا سياحيّا جذّابا بفضل ثراء مناطقها الجغرافية وتنوّعها، كما تستطيع، بفضل شساعة أراضيها الصالحة للزراعة، أن تطوّر قطاعا فلاحيا قادرا، لا فحسب على تحقيق أمنها الغذائي، وإنما أيضا على التصدير إلى الخارج...

بَيْدَ أنّه ممّا يضاعف من قلق الجزائريين إزاء الأزمة الاقتصادية أنها تتزامن مع وضع أمنيّ مضطرب في المنطقة، ومع استفحال مخاطر الإرهاب التي تتهدّد بلادهم لا سيما المتأتي من بعض الدول المجاورة... وهو ما يفرض عليها حالة من اليقظة والاستنفار الدائمين لضمان أمن المواطنين وتأمين المواقع والمنشآت الاستراتيجية وحماية الحدود... وغنيّ عن البيان أن الجزائر التي تمتدّ حدودها البرية مع كلّ من تونس وليبيا والنيجر ومالي وموريتانيا والمغرب على أكثر من ستّة آلاف كيلومتر، مطالبة بأن تسخّر جانبا هامّا من ميزانية الدولة للجيش حتى يكون قويّا وقادرا على حماية هذه الحدود...

ولأنّ الجيش ينبغي أن يتفرّغ بصورة كلّية لهذه المهمّة الحيويّة بالنسبة إلى البلاد، فإنّ النظام الجزائري شرع منذ السنة الماضية في اتخاذ جملة من الإجراءات التي تهدف، على ما يبدو، إلى إعادة هيكلة المؤسسة العسكرية، وإلى تحييدها حتى لا يكون لها دور في الحياة السياسية للدولة المدنيّة التي يجري بناؤها، وقد تجلّى ذلك بصورة خاصة في حلّ «جهاز الاستعلام والأمن» وتعويضه بـ«مديرية المصالح الأمنية» التي تم فصلها عن وزارة الدفاع وإلحاقها مباشرة برئاسة الجمهورية.

وبعد... فإن الجزائريين الأكثر تفاؤلا بمستقبل بلادهم والأشد إيمانا بقدرتها على تجاوز الصعوبات الراهنـــة يؤكدون أن من بين أهـــم إنجازات النظام الجزائري خلال السنوات الماضية أنه عرف كيف يستبق الأحداث عندما بادر، أيام الرخاء وبحبوحة العيش، بسداد ديون البلاد، وهو ما خفّف عنها، اليوم، عبء الأزمة الناجمة عن تراجع أسعار البترول...

وقياسا على ذلك، فإنهم يؤمّلون أن يعمل النظام، مرة أخرى ومن جديد، على استباق الأحداث بالاستجابة السريعة لمتطلبات تطوير الحياة السياسية وإدخال الإصلاحات الواجبة عليها بما يقي البلاد من أية تململات أو اضطرابات هي في غنى عنها...

وهم يعتبرون أن تأثيرات العشريّة السوداء التي ما تزال حاضرة في الأذهان، والانحرافات التي تعرفها ثورات ما يسمى بـ«الربيع العربي» من شأنها أن تحفز الشعب الجزائري إلى المطالبة السلمية الهادئة بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الضرورية... وعلى النظام أن يستفيد من هذا الظرف المواتي ليطوّر نفسه بنفسه، وليتجـاوب مـع تطلعـات الجـزائريين حتى يتجنب أيّة انزلاقات قد تحدث بتحريض ممن لا يريدون الخير للجزائر وللمنطقة.■

م.ا.ج

البيانات المالية الموحدة للسنة المنتهية في 31 ديسمبر2015.

واصلت مجموعة QNB، المؤسسة المصرفية الرائدة في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، تسجيل معدلات نمو قياسية في أرباحها والتي بلغت 11,3 مليار ريال لعام 2015 (3,1 مليار دولار أمريكي)، بزيادة نسبتها 7,7% عن ما تم تحقيقه في عام 2014.

وبناءً على النتائج المالية القوية التي تم تحقيقها خلال عام 2015 وانطلاقاً من سياسة مجموعة QNB الرامية إلى تحقيق أفضل عائد للمساهمين، يوصي مجلس الإدارة الجمعية العامة بتوزيع أرباح نقدية بمعدل 35% من القيمة الاسمية للسهم (بواقع 3,5 ريال للسهم الواحد)، بالإضافة إلى إصدار أسهم مجانية بمعدل 20% من رأس المال (بواقع سهمين لكل عشرة أسهم)، علماً بأن البيانات المالية لعام 2015 ومقترح توزيع الأرباح تخضع لموافقة مصرف قطر المركزي.

وقد أدت سياسة المجموعة في إدارة التكاليف وقدرتها على تحقيق نمو قوي في الإيرادات الى المحافظة على نسبة كفاءة (المصاريف إلى الإيرادات) عند 21,5%، والتي تعتبر من بين أفضل المعدلات على مستوى المؤسسات المالية في المنطقة.

كما ارتفع إجمالي موجودات المجموعة بنسبة 10,7% عن عام 2014 ليصل إلى 539 مليار ريال (147,9 مليار دولار أمريكي) وهو أعلى مستوى في تاريخ البنك. وقد تمكن البنك من تحقيق ذلك من خلال النمو القوي في محفظة القروض والسلف بنسبة 14,8% لتصل إلى 388 مليار ريال (106,7 مليار دولار أمريكي).

كما حافظ البنك على معدل القروض غير العاملة كنسبة من إجمالي محفظة القروض عند مستوى 1,4%، وهو من بين أدنى المعدلات على نطاق بنوك منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا، الأمر الذي يعكس الجودة العالية لمحفظة القروض وفعالية سياسة إدارة المخاطر الائتمانية. كما واصلت المجموعة سياستها المتحفظة في بناء المخصصات حيث بلغت نسبة تغطية القروض غير العاملة 127% بنهاية عام 2015.

وبموازاة ذلك ارتفعت ودائع العملاء بنسبة 10,5% لتصل إلى 395 مليار ريال (108,6 مليار دولار أمريكي)، مما ساهم في وصول نسبة القروض إلى الودائع إلى مستوى 98%.

كما ارتفع إجمالي حقوق المساهمين بنسبة 7,1% عن عام 2014 ليصل إلى 62 مليار ريال (17,0 مليار دولار أمريكي). كما بلغ العائد على السهم 16,1 ريال (4,4 دولار أمريكي) مقارنة مع 14,9 ريال لعام 2014.

وقد بلغت نسبة كفاية رأس المال المحتسبة بموجب متطلبات مصرف قطر المركزي ولجنة بازل III ما نسبته 16,3% في 31 ديسمبر 2015، وهو معدل أعلى من متطلبات مصرف قطر المركزي ولجنة بازل. وتركز سياسة المجموعة في المحافظة على قاعدة متينة لرأس المال لدعم خططها الإستراتيجية المستقبلية.

وتعزيزاً لقاعدة رأس المال وحقوق المساهمين لدى البنك، وللتمكن من الإحتفاظ بنسبة كفاية رأس مال أعلى من المتطلبات الرقابية ولجنة بازل، وافق مجلس الإدارة على التوصية للجمعية العامة بالموافقة على اصدار أدوات رأسمالية مؤهلة لتكون ضمن الشريحة الأولى من رأس المال الإضافي و/أو رأس المال المساند بما يتفق مع متطلبات مصرف قطر المركزي ومعايير لجنة بازل وتفويض مجلس الإدارة في تحديد مقدار هذه الإصدارات وتواريخها وشروط اصدارها وأسعار الفائدة عليها وتوقيت طرحها.

ونتيجة للتصنيف الائتماني المرتفع للمجموعة وجودة أصولها المتميزة، تم اختيار QNB من بين الخمسين بنكاً الأكثر أماناً في العالم وفقاً لغلوبال فاينانس.

وبفضل استمرار الأداء القوي وزيادة انتشار المجموعة على الصعيد الدولي، تمكنت المجموعة من تحسين ترتيبها ضمن أفضل 500 علامة تجارية مصرفية في العالم بموجب المسح الذي قامت به براند فاينانس بوصفها العلامة التجارية المصرفية الأعلى قيمة في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا لتحتل المرتبة رقم 79 وبقيمة بلغت 2,6 مليار دولار أمريكي في عام 2015، متقدمة من الترتيب 101 بقيمة 1,8 مليار دولار أمريكي في عام 2014.

وقد تم خلال شهر ديسمبر من العام 2015 التوصل إلى اتفاق نهائي للاستحواذ على كامل حصة بنك اليونان الوطني البالغة 99,81% في Finansbank A.Ş) Finansbank) في تركيا، ومن المتوقع ان يتم استكمال عملية الإستحواذ خلال النصف الأول من عام 2016.

كما حصلت المجموعة خلال الربع الثاني من عام 2015 على موافقة على افتتاح فرع في المملكة العربية السعودية وقد تم البدء بالإجراءات اللازمة لإفتتاح الفرع.

وتتواجد المجموعة من خلال فروعها وشركاتها التابعة والزميلة في أكثر من 27 بلداً وثلاث قارات حول العالم، حيث تقدم أحدث الخدمات المصرفية لعملائها عبر أكثر من 635 فرعاً ومكتباً تمثيلياً وشبكة صراف آلي تزيد عن 1,390 جهاز ويعمل لديها ما يزيد عن 15,200 موظف.

QNB

qnb.com.tn

الدكتور عزّام محجوب

الصين: العملاق الاقتصادي المنهار!

الأسباب والتداعيات

أجرى الحوار عبد اللطيف الفراتي

خلال أكثر من 20 سنة اعتبرت الصين، معجزة اقتصادية، فريدة في نوعها، واستطاعت أن تتحول من دولة فقيرة متخلفة إلى دولة صاعدة ، تنجز في غالب السنوات نسبة نمو من رقمين، أي بما يتجاوز 10 في المائة ، في الناتج الداخلي الخام.

وهذا الوضع مكّن الصين من أن تتفوق على دول كانت في مراتب متقدمة في الترتيب بين الدول الأغنى عالميا، وأن تتجاوزها لتصبح ثاني أكبر قوة اقتصادية، متقدمة على ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وكثير من العمالقة الآخرين، ولا تسبقها في حجم الثروة إلا الولايات المتحدة التي تبقى أهم قوة اقتصادية في العالم، هذا دون أن نغفل القول إن الصين تتفوق بحجمها السكاني على كل الدول في العالم، ولا تلاحقها إلا الهند، ما يعني أنها أيضا، ومن ناحية الناتج للفرد، ليست في المراتب الأولى ولا حتى المتقدمة ، ما يوجب الحذر عند التعامل مع الأرقام، وتنسيب كل الظواهر. غير أن العملاق الاقتصادي الصيني بدت تظهر عليه علامات الوهن، فتختل توازناته، وتبعا لذلك التوازنات الاقتصادية، ليس فقط بين البلدان المتقدمة مثل الولايات المتحدة أو أوروبا بل ربما حتى البلدان الآسيوية التي كانت توصف بالنمور الجديدة وكذلك الدول العربية خاصة منها النفطية، وجانب مهم من الدول الإفريقية التي تعاظمت معاملاتها مع بيكين.

هذا الوضع المهدد للتوازنات الاقتصادية و المالية العالمية دفعنا لأن نطرح أسئلة معينة على الأستاذ الجامعي الدكتور عزام محجوب للاستفسار عن هذا القادم غير المتوقع وتداعياته العالمية. والدكتور عزام رجل معروف ببحوثه الكثيرة، وصاحب خبرة واسعة أهلته لأن تقع استشارته من قبل عدة مؤسسات أممية ودولية وجامعية.

أولا ولمحاولة فهم ما يجري ، كيف وصلت الصين إلى هذه الأزمة، التي تتهددها داخليا و تتهدد العالم خارجيا ، وهل هي امتداد للأزمة العارمة التي اندلعت في أمريكا وأوروبا في العام 2008، وكانت لها تبعات هي الأخرى بما فيها علينا ؟

أود أن أقول وفق وجهة نظري إن هذه الأزمة، ليست ظرفية كما يعتقد البعض، بل هي هيكلية، وبالتالي وكما أن أعراضها مختلفة فإن الحلول لمعالجتها أصعب وأعقد مما يظن الكثيرون. لذلك ينبغي أن نقف عند الأسباب الحقيقية والعميقة، بما فيها من تشخيص لما يجري في الصين، والاحتمال الأول هو أن تدخل الصين بهذا المنعرج مرحلة ركود قد تطول، بما لذلك من تداعيات على الاقتصاد العالمي، والاحتمال الثاني هو أن تنجح الصين في الخروج من عنق الزجاجة، وتتمكن من اجتياز أزمتها وتمر إلى مرحلة إيجابية. ورغم ما يبدو من وعي للقيادة الصينية بالظرف الدقيق جدا الذي تعيشه بلادها، وتأمل في أن تمر بمرحلة انتقالية تدوم ما بين 5 وعشر سنوات تعيد فيها حساباتها وتصل بعدها إلى منوال اقتصادي جديد، UNE NOUVELLE NORMALITÉ، حسب المصطلح الرسمي الصيني، لتعود لعافيتها، فإني أعتقد أن الصين قد دخلت مرحلة صعبة، وأن الاخلالات القائمة ومنذ مدة يعسر حلها في ظرف وجيز.

دكتور، ولكن ما هو أصل المشكل الذي أدى لتركيع هذا العملاق ؟

استنتجنا، من وجهة نظرنا، أننا أمام أزمة هيكلية وليست ظرفية في الصين ، أزمة اتخذت بعدين رئيسيين (هذا من دون التطرق إلى المسائل السياسية في الحكم) وكلا البعدين يصب في الآخر ويؤثر فيه:

أ ـ بُعـدٌ مالي، برز من خــلال انهيار البورصة في الصين (شانغهاي وشانزان)، ولكن أيضا مشاكل التمويل والاستثمار العقاري بالخصوص، وانعدام الحــوكمة الرشيــدة في هذا الباب.

ب ـ إخلالات كبيرة في الاقتصاد الفعلي بكل جوانبه الانتاجية.
وقد ظهر البعد المالي في أعراض ليست غريبة على الملاحظين الفطنين، فقد عاشت الصين خلال 2015 وبدايات 2016 انهيارا مدمرا لبورصاتها، يعتبر غير مألوف ، ولعله ينبغي العودة لسنوات الثلاثين من القرن الماضي لمشاهدة أمر مشابه ، في الولايات المتحدة وأوروبا. وإذ تتميز الصين بوزن ثقيل جدا لبــورصــاتــها الثــلاث (هــونغ كــونغ وشــانغهاي وشانزان)، فإن انهيارا مماثلا لا يمكن أن يمر دون أن يترك بصمات غائرة.

وحتى لا ندخل في تفاصيل مهمة ولكنها معقدة، فإن الدول تعتمد على مؤشرات تبرز أهمية رأسمال البورصات أي مجموع قيمة الأوراق المالية بالنسبة إلى الناتج الداخلي الخام، وفي الصين فإن رسملة الأوراق المالية تمثل بين 40 و50 في المائة من الناتج الذي يبلغ حوالي 10 آلاف مليار دولار. أي أن قيمة الأوراق المالية عندما تنهار البورصة بـ30 إلى 50 في المائة، فإن خسارة الاقتصاد في الحالة الصينية قد تصل نسبة عالية من الناتج الداخلي الخام، بمعنى أن الصين في ظرف سنة خسرت حوالي ثلث إلى نصف رأس المال المتاح في البورصة والذي من شأنه أن يخلق الثروة.

والنتيجة الفعلية لذلك هو أن عدة عشرات الملايين من الأسر الصينية التي انخرطت في لعبة البورصة أصبحت «على الحديدة»، أي ضاعت ثروتها ، وهؤلاء هم في الغالب من الطبقة الوسطى التي كان متاحا لها التملك واكتساب ثروة بالاقتراض السهل والمضاربة.

وفي بلدان أخرى منفتحة وديمقراطية كان متوقعا، في مثل هذه الحال ، أن تحدث اضطرابات اجتماعية كبرى ، ولكن حالة الصين مختلفة ، نظرا لطبيعة الحكم بالبلاد.

دكتور، عمليا ماذا حدث؟

لنتصور أن بيدك بالونة منتفخة ، ومن شدة الانتفاخ انفجرت فجأة بين يديك. فهذا ما وقع في الصين. ولكن لنقل إن ذلك لم يكــن حقيقة مفاجئا ، من هنا تأتي هيكليــة ما جــرى ومــا أصاب الصين، كما سبق أن استنتجنا ، فالنمــط الذي اتبعتــه الصين والنسق الذي سارت عليه ومنوال التمويل الذي دأبت على اتّبــاعه ، وعــدم وجــود آليــات التصحيــح المناسبــة، كلها عوامل أدت إلى أخطاء لم يكن هناك من ينبه لها.

فقــد اتبعت الصين منوالا يعتمد على الاستثمار وأهملت الاستهلاك الداخلي أو لم تعتمده بما فيه الكفاية ، وهو أحد المحركات الثلاثة لنسق النمو. واعتمد الاستثمار على اقتراض واسع ، تم توفير كل مسهلاته بما فيه التساهل المفرط في منح القروض بنسب فائدة منخفضة جدا، وفتح باب الاقتراض خاصة للأفراد الذين اتجهوا للاستثمار في العقار على نطاق واسع، فارتفعت أسعار الأسهم وارتفعت أسعار العقارات، فارتفع الاقتراض بدوره من جديد، وهكذا دواليك حتى وصل الأمر إلى طاقة الإشباع ولم يعد العقار مربحا ولا مطلوبا، فانهار الصرح، كما حصل في الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا في عام 2008، ولكن بهزة أكبر نظرا للهشاشة التي يتميز بها الاقتصاد الصيني، وبذلك انهار كل شيء.

والدولة، أين الدولة لتوقف النزيف؟

الدولة نفسها، في محاولة منها للإنقاذ، اتخذت تدابير نقدية ومصرفية (ضخ أموال لشراء الأسهم للتصدي للهبوط المطرد لأسعارها وتخفيض قيمة العملة الى حد استنزاف احتياطاتها المالية الضخمة ، فانخفض المخزون الذي كان الأكبر في العالم قبل سنة ونصف من ما بين 3 آلاف وأربعة آلاف مليار دولار إلى 500 مليار دولار) فنتج عن ذلك ارتفاع مشط للمديونية، إلى الحد الذي بلغت فيه نسبة التداين العمومي 350 في المائة من الناتــج الداخلي الخام مقابل 100 في المائة قبل اندلاع الأزمة (حوالي 50 في المائة في تونس ولو بهيكلية سيئة). وقد

أرقى

أدق

المعاملات البنكية
بنــك الإســكــان
BANQUE DE L'HABITAT
Bâtisseur de l'avenir
: 1800 / 71 001 800
: CONTACT@BH.FIN.TN
: WWW.BH.COM.TN

تزامن ذلك بحجم كبير لتهريب العملة ورؤوس الأموال. ومن هنا جاء الانهيار .

ولكن مـــا هـــي آثـــار البعـــد الاقتصـادي، بعـد المـالي، في تطور الأزمة ووصولها لهذا المنعرج الخطير؟

الصين ، مع الانفجار في نسق النمو ، بقيت تجر أوضاعا غير طبيعية ، فإلى جانب البورصات ، هناك مالية خفية أو موازية ، لا تخضع لأي رقابة أو تأطير، وهمّها الإثراء السـريـع، وهنـاك أيضـا المضـاربات ، وهناك الفقـاعة العقـارية (LA BULLE IMMOBILIÈRE) التي وصلت بالمقتنين، اعتمادا على قروض إثر قروض لا سيما في المجال العقاري ، إلى مرحلة العجز عن السداد وانهيار سوق المبيع . من هنا فإن البورصة انهارت إلى حد وصلت الخسارة في حصة واحدة إلى حدود 1.300 مليار دولار ، وبلغت عملـــية تمويل الاقتصاد LA FINANCIALISATION DE L'ÉCONOMIE حدودا لا تطاق ولم تخضع للضوابط المتعارف عليها .

وجوابا على سؤالك فإن الصين عرفت 20 سنة من نسق نمو عال إلى حد كبير ، ولكن ذلك النسق وصل إلى حدوده. مع التذكير أن بين 1994 و 2001 تراجعت نسبة النمو التي كانت 13 بالمائة إلى نسبة 7 أو 8 في المائة ، وبعد هذا الانحدار تعافى الاقتصـاد الصيني الى حدّ سنتي 2006-2007 ثم عاد لينمو بنسب عالية وصلت في سنـة معينة حتـى 14 في المـائة، ثم عاد إلى الانحدار مجددا وبصفة متواصلة ، وهذه المـرة لا يبدو أنـه توجد مؤشـرات على تعـافيه قـريبا، أمـا في ما يخـص نسبـة النمو الحالية ، المعلن عنها رسميا (6 او 7 بالمائ) فـإن كثيرا مـن المحللين يعتقـدون أنها ليست صحيحة ، وأن النسبة الحقيقية الحالية تحوم حول 3 في المائة.

كيف تم هذا التراجع، ووضع الصين في حال لا تحسد عليه، وما هي عوامله الداخلية ؟

يشكو الاقتصاد الصيني من تراجع انتاج الصناعات المعملية وصناعات التعدين بعد أن كان الصين ينعت بأنه ورشة العالم، كما يشكو من تراجع في الصادرات وفي الواردات بينما تمثل هذه جزءا هاما من الناتج ، وقد انخفض إنتاج واستهلاك الكهرباء وهو مؤشر مهم للركود ، إلى جانب تراجع واردات النفط.

وقد بلغ الاقتصاد الصيني مداه الأعلى ثم أخذ بالتدهور، فمنوال الانتاج بلغ حدوده و أصابه الوهن.

وكان لا بد أن يحدث ذلك لطبيعة الاقتصاد الصيني ، فهو اقتصاد موجّه، وهو اقتصاد إداري أي خاضع لقرارات إدارية (الأسعار – سعر الفائدة – سعر الصرف)، وهو بذلك ليس اقتصاد سوق بالمفهوم المألوف ويلعب فيه القطاع العام الدور الكبير إلى جانب الخاص، وبالتالي فهو اقتصاد هجين HYBRIDE قام على خلل واعتمد على توظيف كثيف برواتب ضعيفة (الريفيون النازحون الى المدن)، بالإضافة الى حجم كبير من الفساد في عديد المستويات والقطاعات. زد على ذلك وجود قطاع زراعي قليل الانتاجية، يشغّل 36 في المائة من اليد العاملة ولا يمثل سوى 10 في المائة من الناتج.

اما القطاع الصناعي فإنّه يستأثر بـ30 بالمائة من العمالة، و44 بالمائة من الناتج المحلي مع ضعف في نسبة القيمة المضافة، نظـرا لضعـف قسـط القطاعـات ذات التكنـولوجيا العالية نسبيا فيـه. ويستـأثر قطاع الخـدمـات بـ 36 في المائة من العمالة و46 بالمائة من الناتج المحلي. ويعتبر هذا المؤشر الأخير ضعيفا بالمقارنة مع البلدان المتقدمة وحتى الصاعدة، وهذا يمثل نقطة ضعف بارزة حيث أن قطاع الخدمات يعتبر مؤشرا على تطور التكنولوجيات الحديثة التي تعد اليوم من أبرز قاطرات النمو. فبالتالي تُعدّ إعادة هيكلة التوزيع القطاعي لصالـح قطاع الخدمات، خاصـة في المجـالات الواعدة، تحديا كبيـرا للمرحلـة المقبلـة. كما أنه، وكما الشأن في البلدان المتخلفة فإن الفوارق الجهوية كبيرة بين المناطق الساحلية والعواصم والجهات الداخلية. كما أنه لم يقـع اعتبار الاستهلاك الداخلي محركا للتنمية حيث بقي شاملا لطبقات دون طبقات، خاصة أن 1 في المائة من المواطنين يستأثرون بـ25 في المائة من الثروة، و25 في المائة من السكان لا ينالهم منها سوى 1 في المائة. أما بالنسبة للتصدير وهو

ليدرز العربية Leaders

للحصول على مجلّتكم بانتظام
وبأقل ثمن
اشترك الآن

12
عدد/سنويّا
د.ت
25
فقط

وفّر أكثر

اشتراك مزدوج
د.ت
55
فقط/سنويّا

المشترك: .....
المعرّف الجبائي: .....
العنوان: .....
الترقيم البريدي: ..... البلاد: .....
الهاتف: ..... الفاكس: .....
العنوان الالكتروني: .....
عدد الاشتركات: .....
طريقة التسديد: تحويل بنكي ☐ صكّ بنكي ☐ حوالة بريدية ☐
التحويل باسم شركة بي آر فاكتوري
CCB DEVISES 08 008 00067 59 001093 3 03
CCB TND 08 008 00067 10 01274 0 71

ليدرز العربية
مجمّع النور، مدينة العلوم، ص.ب 200 - 1082 تونس مهرجان - تونس
الهاتف: 111 232 71 216+ / الفاكس: 333 750 71 216+
leaders.arabiya@gmail.com

المعتمد عليه، فإن 40 بالمائة منه ناتج عن مؤسسات مملوكة للخارج تماما و20 منه من مؤسسات مملوكة بالشراكة بين الداخل والخارج.

وفي النهاية ، ما هي التأثيرات المحتملة عالميا وعربيا وإفريقيا وتونسيا لانهيار اقتصادي صيني ، مقبل أو محتمل إن لم يكن قائما حاليا، ويكون قد بدأ في إفراز نتائجه؟

إن الانهيار الاقتصادي الصيني من وجهة نظري قائم الآن، وقد ظهرت عدواه في هبوط ملحوظ في بورصات آسيا وأمريكا وأوروبا وأستراليا.

أما على الاقتصاد الحقيقي (L'ÉCONOMIE RÉELLE) المعولم فإنه أمر واقع في مستقبل غير بعيد، لنذكر أن الاقتصاد العالمي لم يتعاف بعد من أزمة 2008 التي انطلقت من الولايات المتحدة، وبالتالي فإن الاقتصاد العالمي يتميز حاليا بالهشاشة ، وكل أزمة جديدة قد تؤثر فيه تأثيرا كبيرا ، وقد تصيبه بمرحلة ركود وانكماش جديدين. وإذا استمرت حالة الركود والانكماش في فترة اضطرابات وركود.

وفي الانتظار فإن هناك بلدانا متضررة، فأسعار البترول المتدنية، وليست الصين سببا رئيسيا في تدهورها ، ولكنها كمستورد انخفضت وارداته بما أضر بدول الخليج النفطية ولكن أكثر منها بدول مثل فنزويلا أو نيجيريا التي باتت على أبواب الإفلاس، أو الجزائر المتضررة كثيرا. كما إن عددا من البلدان الافريقية التي طورت علاقاتها التجارية والاستثمارية مع الصين إلى درجة تفوق 50 في المائة من مبادلاتها ستتضرر خاصة مع تزامن تراجع النمو والواردات والاستثمارات الصينية مع تدهور الأسعار العالمية للمواد الأولية.

أما بالنسبة لتونس فلا يبدو أن هناك أثرا مباشرا عليها نتيجة الأزمة الصينية ، نظرا لضعف مبادلاتها مع الصين نسبيا ومحدودية الاستثمارات الصينية بها. ولكن ذلك يمكن أن يحصل بصورة غير مباشرة إذا أصاب الضرر الدول التي تتعامل معها تونس في أوروبا.■

ع.ف.

الصينية فإن ذلك سيكون له أثره الواضح، فالشركاء الكبار للصين سيجدون أنفسهم وقد تراجعت صادراتهم إليها، وهي مصدر دخل كبير لهم ، وكل هذا مرتبط بالكيفية التي ستواجه بها الصين أزمتها، فإن اقدمت على إصلاحات موجعة، حول منظومة التمويل والمديونية ، وإعطاء دور أوسع للقطاع الخاص، ومعالجة قضية الفساد، ودفع الاستهلاك الداخلي، وإرساء نوع من العدالة بين الأفراد والجهات ، وتطوير صناعاتها نحو صناعات ذات قيمة مضافة عالية مرتبطة بالتكنولوجيات الحديثة ، فإنها ستنجح على مدى متوسط ، رغم أهمية التحديات .

على أن الصين تشكو أيضا من تكلّس سياسي، يمنع من تصور ديمقراطي فيه حرية تعبير تمكن من الإصلاح في الوقت المناسب، فالقادة الصينيون ما زالوا يرفضون كل إشارة لدمقرطة بلادهم، معتمدين على ما يسمونه الكفاءات المناضلة (MÉRITOCRATIE)، ومع هذا فإذا تواصل انعدام الثقة في مدى كفاءة النظام وقدرته على رفع التحديات فقد تدخل الصين

> اتبعت الصين منوالا يعتمد على الاستثمار وأهملت الاستهلاك الداخلي أو لم تعتمده بما فيه الكفاية ، وهو أحد المحركات الثلاثة لنسق النمو. واعتمد الاستثمار على اقتراض واسع ، تم توفير كل مسهلاته بما فيه التساهل المفرط في منح القروض بنسب فائدة منخفضة جدا، وفتح باب الاقتراض خاصة للأفراد الذين اتجهوا للاستثمار في العقار على نطاق واسع، فارتفعت أسعار الأسهم وارتفعت أسعار العقارات، فارتفع الاقتراض بدوره من جديد، وهكذا دواليك حتى وصل الأمر إلى طاقة الإشباع ولم يعد العقار مربحا ولا مطلوبا.

البنك التونسي للتضامن
BANQUE TUNISIENNE DE SOLIDARITÉ
BTS BANK

La BTS :
Une Banque de Mésofinance au Service de la Petite Entreprise

Siège Social :
56, Avenue Mohamed V - 1002 Tunis
T : (+216) 71 84 40 40 - **F** : (+216) 71 84 55 37 - bts@bts.com.tn

www.bts.com.tn

«الكرسي بطل الرواية»

بقلم توفيق جابر

جمعتني الصدفة في بداية سنة 1988بالمرحوم الشاذلي زوكار وكان حينها سفيرا باليمن... حضر مراحل الصراعات والمفاوضات التي توجت بالوحدة اليمنية وحضر كذلك رفع أول برميل نفط يمني. كان دائم الابتسامة، محبا للحياة... نشأت بيننا صداقة مفعمة بالود وحضرنا معا العديد من التظاهرات الثقافية ومن بينها أمسيات شعرية، حيث كان مولعا بالشعر.واستمرت صداقتنا رغم بعدنا عن بعض بسبب عملي في عدد من البعثات بالخارج، إلى حين وفاته المفاجئة في شهر ديسمبر من سنة 2008. وأتذكر أننا كنا نقول عند لقاءاتنا الصيفية «إن الجغرافيا هي التي فرقت بيننا، لا التاريخ...».

السفيـر الشـاذلي زوكـار ديبلوماسي وأديب وشاعــر وقصّــاص مـــن مؤسسي اتحاد الكتاب التونسيين،كما كان عضوا فخريا في رابطة الأدب العربي بالقاهرة.أهداني عــددا من مقالاته،استحضرت منذ زمن وجيز إحداها التي كتبها سنة 1982وعنوانها «الكرسي بطل الرواية»، بسبب ما تعيشه الساحة السياسية في تونـس وخـاصة هرولة كـل السيـاسيين تقريبـا وراء الكـرسي، لا وراء مصلحــة الوطن ومن أجلهـا.

يستهل المرحوم مقاله كما يلي «كثيرا ما يكون «لكرسي» بطل الرواية وكثيرا ما يرافق «الكرسي» الرواية أو فصلا منها. ولقد احتل الكرسي مقاما كبيرا في حياة الناس بمختلف مستوياتهم، ومع رحلة أيامهم... ولعلنا نذكر رواية فقيد المسرح العربي يوسف وهبي «كرسي الاعتراف» والصدى الذي لاقاه بطل الرواية الذي هو ليس يوسف وهبي بل «الكرسي» نفسه الذي كان يرمز إلى أعمق المعاني...

«ولــو أردت أن أستعــرض الروايـــات والمسرحيـــات والقصــص التي خلقت من «الكرسي» بطلا عملاقا له دوره في حياة الناس لملأت عديدا من الصفحات...إننا كثيرا ما نقرأ عناوين في حياتنا السياسية يرتكز تحليلها على الكرسي وذلك كأن تقرأ عناوين مثل «حرب الكراسي بين فلان وفلان» و«الصراع من أجل الوصول إلى الكرسي»...

«ويجعل الناس «الكرسي» رمز السلطة والجاه بل التسلط والكبرياء أحيانا، فيقولون «إن فلانا يجري وراء الكرسي» أي السلطة أو إن «فلانا يتمسك بالكرسي حتى الموت»...

وصاحبنا الذي أثار في نفسي كل هذه الخواطر عن سيدنا الكرسي له قصة في منتهى الطرافة، دخل ذات صباح كعادته إلى مكتبه وهمّ بالجلوس على كرسيه الدوار، وإذا به يكاد يسقط على الأرض لولا تماسكه بدرج المكتب...

اتضح له أن الكرسي الذي جلس عليه ليس كرسيه المعهود، وأنه مكسور...هناك يد خفية دست هذا الكرسي المكسور واستولت على الكرسي المريح...فكّر صاحبنا مليّا ثم قرر أن يضع الكرسي المكسور في مكتب زميله خلسة ليأخذ كرسيه المريح...وبالفعل نفذ قراره.

وفي يوم الغد دخل زميله مكتبه متظاهرا بالتحية بينما عيناه تتفحصان الكرسي بأسلوب محتشم، يبحث بصمت وحذر... يبحث عن بعض العلامات التي تميز كريسه...وعندما سأله زميله عن سر نظراته الغريبة التي لم يتعودها، أجابه

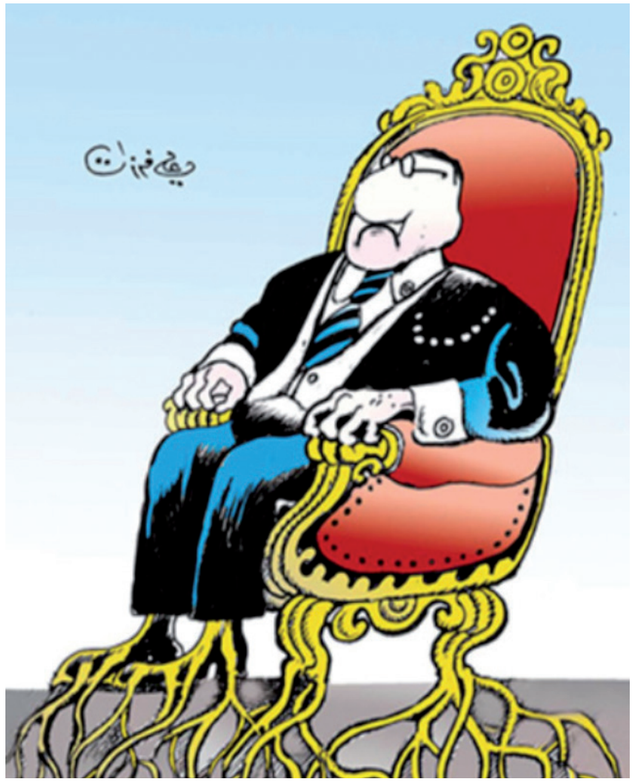

بشيء من الارتباك هناك يد غيرت كرسي مكتبي المريح بكرسي آخر مكسور... فأجابه صاحبنا: «بسيطة، مثلما غيروا وبدلوا كرسيك افعل مثلهم وضع الكرسي المكسور في مكتب آخر، وخذ الكرسي المريح لتستريح...

وفعلا نفذ الزميل النصيحة واستبدل كرسيه بكرسي جـاره، ونفــس العمليــة تمت في اليوم الموالي مع الجار الآخر... واستمر الكرسي المكسور يتجول من مكتب إلى آخر حتى كاد أن يصل مكتب «الرئيس»... لا لشيء إلا لأنه مكسور فهو مرفوض، ولأنه مرفوض لابد أن يحتل صدارة الغش والخداع والتزوير...

هذا الكــرســي المنبــوذ، هذا الذي حيّــر العقــول وجلب المتـاعب، إلى أين وصل في جولته الشاقة الآن...؟!

لقد تمتع أناس كثيرون بالجلوس عليه عندما كان وثيرا، مريحا ومتماسكا...أما وقد تداعت أركانه وأصبح يهدد كل من يجلس عليه بالسقوط، فإنه سيخفي حقيقته لأنه لا يكتشف إلا بتجربة الجلوس...إنه مازال

يتجول من مكتب إلى مكتب ويلعب دورا خطيرا في حياة الناس الذين يعيشون حوله... إذن فالأحسن لك أن تظل واقفـا من أن تجلـس على كـرسي متداعي الأركان أو أن تفعل مثل صاحبي لتستبدل كرسيك المكسور بكرسي جارك المتماسك الدعائم...

إنه «الكرسي» بطل الرواية ... والرواية قد تكون ذات فصل أو عدة فصول... لكن لابد لها من نهاية... ولا بد للستار أن يسدل عليها في آخر المطاف... مهما طالت فصولها...؟ !

لم يسدل الستار في تونس وفي العديد من البلدان الأخرى، وربما لن يسدل إلى يوم الدين... بقينا نعيش يوميا وفي كل لحظة صنعها الله على وقع الصراع على الكراسي...

ننتظر بألم قاتل وقد بلغ الوهن النفوس وسدت أمامنا كل الآفاق بسبب المتصارعين الذين دمّروا فينا أحلام الانعتـاق من جشعهم ومن أنانيتهم...عزف الناس عن العمل وأدمن الكثير منهم على المهدئات والمسكنات والمنومات ...

هذا يجري وراء المؤبد في الكرسي... وذاك يجري وراء توريث الكرسي... هذا هو الطغيان والاستبداد بلعبة الكرسي... زرعوا فينا الفرقة ونبذوا الوحدة...نكلوا بالشعب المستبله المستضعف...كرّسوا منطق الصنف والمذهب...

أصبح همنا الوحيد أن تنتهي المسرحية الرديئة وأن يتقاسموا كراسيهم، على أن نستريح ونمرّ لما فيه خير للوطن...

مسكينة هي شعوبنا التي عانت الويلات ولا تزال، والتي أعدم حبها للحياة وأملها في الخروج من معركة الكراسي الأبدية...

(تكريما لروح المرحوم السفير الأديب الشاذلي زوكار).■

ت.ج.

العميد فتحي زهير

الوساطة الضائعة في الخلاف البورقيبي ـ اليوسفي:

مسيرة، وثائق، شهادات

يقول المؤلف في توطئة له مطلع الكتاب انه ليس بالمؤرخ أو بالمختص في كتابة التاريخ إنما استهوته «شخصية أخاذة، وقامة سياسية وحقوقية وإنسانية فذة ... جانبَها المؤرخون في كتاباتهم فعانت التناسي...»، فشاء أن يرد الاعتبار لهذا «الرجل الممتاز والمتميز...».

اعتمد الكاتب في تناوله لشخصية العميد فتحي زهير ولمسيرته النضالية على قربه من عائلة زهير بحكم العلاقة الودية الوثيقة التي كانت تربط والده المرحوم محرز الرويسي بالعميد فتحي زهير ومعرفته الدقيقة بالبيئة العائلية والاجتماعية التي نشأ فيها.

- المؤلف: فاخر الرويسي
- عدد الصفحات: 320
- عدد الفصول : 8
- الناشر: دار تونس للنشر
- يتضمن الكتاب مجموعة هامة من الصور بالأسود والأبيض إلى جانب وثائق مصورة ومكتوبة بعضها ينشر لأول مرة.

عهد فتحي زهير بالسياسة بدأ في مستهل أربعينات القرن الماضي حينما انخرط في النضال الوطني العلني أعقاب الحرب العالمية الثانية قبل أن ينضم سنة 1946إلى مجموعة من كبار مناضلي الحزب الدستوري الجديد الذين وجدوا في المتغيرات الحاصلة في ذلك الوقت على الساحة العربية والعالمية ما حفزهم إلى مواجهة المستعمر وخوض النضال من أجل الاستقلال. وبادروا الى عقد مؤتمر اشتهر «بمؤتمر ليلة القدر» لوضع خطة لمقاومة المستعمر، ولإصدار ميثاق للشعب التونسي من أجل «استقلال تونس التام»، لكن قوات الشرطة اقتحمت المحل وألقت القبض على عشرات المناضلين من بينهم صالح بن يوسف والمنجي سليم والفاضل ابن عاشور وفتحي زهير...

انضم فتحي زهير الى لجنة الأربعين أو مجلس الأربعين الاستشاري الذي شكله الباي (1952) ليساعده على دعم القضية الوطنية ومواجهة السلطات الاستعمارية وحملها على الاستجابة للمطامح الشرعية للشعب التونسي، ومن ضمنها إنشاء برلمان تونسي كعنوان للوحدة الوطنية... وقد قوبلت كل هذه المطالب برفض قاطع من قبل الإقامة العامة الفرنسية التي تحركت بقوة في اتجاه قمع الحركة الوطنية، وحبك المؤامرات لإفشالها والزج بقادتها في المنافي والمعتقلات والتخلص من بعض رموزها من أمثال فرحات حشاد.

وفي كتاب الباحث فاخر الرويسي نسخة من وثيقة بخط فتحي زهير تسجل بعضا من خواطره وأحاسيسه وهو يرثي صديقه الحميم فرحات حشاد بعد أن بلغه نبأ اغتياله (5 ديسمبر 1952) وكان زهير وقتها في أحد المنافي أقصى جنوب البلاد.

ويتناول الكاتب بشيء من التفصيل موضوع الكتاب وهو مسألة الخلاف الذي كان قائما بين الزعيمين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف بشأن المفاوضات التي كانت جارية آنذاك مع الطرف الفرنسي حول مشروع اتفاقية الاستقلال الداخلي (1954)، وهو المشروع الذي عارضه بن يوسف بقوة بمعية عدد من زعماء الحركة الوطنية من داخل البلاد ومن المهجر الذين اعتبروا الاتفاقية «منقوصة» و «خطوة الى الوراء» و «خيانة وطنية»، وجيشوا الأنصار من أجل مواصلة الكفاح المسلح لنيل الاستقلال التام، معتمدين في ذلك على دعم عربي وآسيوي قوي وواسع، وظل بن يوسف وأنصاره متشبثين بموقفهم المعارض للمفاوضات، رغم المساعي التي قامت بها بعض الشخصيات الوطنية المرموقة لإقناعه بضرورة العدول عن موقفه المعارض المتشدد من مسألة الاستقلال الداخلي والسبل الكفيلة بتحقيقه.

ويشير الأستاذ فاخر الرويسي إلى«الدور المهم» الذي لعبه فتحي زهير كغيره من الشخصيات التونسية في إنجاح المفاوضات مع الجانب الفرنسي التي تكللت بإبرام اتفاق الاستقلال الداخلي (1955)، وذلك رغم علاقة الصداقة والمصاهرة التي كانت تربطه بصالح بن يوسف، وكانت مواقفه مؤيدة تماما لسياسة المراحل التي انتهجها الزعيم الحبيب بورقيبة من بداية الكفاح الوطني وداعمة للرؤية البورقيبية في التعاطي مع قضية الاستقلال.

لكن العلاقات بين الرجلين ظلت ودية في بادئ الأمر رغم هذا التباين في المواقف؛ وأبدى بورقيبة من جانبه حرصاً شديدا على تبديد الخلافات مع بن يوسف رفيق الدرب، محاولا استمالته وثنْيه عن موقفه، وذهب في هذا الاتجاه إلى حد الاستنجاد بأحد المقربين إليه وهو فتحي زهير مستغلا ما كان يربطه بصالح بن يوسف من صلات صداقة ومصاهرة، فأشار عليه بالتوسط لدى زوج أخته ودعوته للمصالحة.

يلقي الكاتب الأضواء الكاشفة المكثفة على المساعي التي قام بها العميد زهير لمحاولة رأب الصدع في العلاقات بين الزعيمين بورقيبة وبن يوسف.

يروي الكاتب بشيء من التفصيل قصة توسط العميد زهير في هذا الخلاف الحاد ويقول في هذا الصدد (ص 120): ... تحدى فتحي زهير كل الخلفيات فذهب الى بيت بن يوسف ب«مونفلوري» الذي وجده محاطا بجمع كبير من مناصريه المدججين بالسلاح وعندما دخل المنزل، وجد سي صالح مجتمعا مع عدد من زعماء قبائل الهمامة والفراشيش وغيرهم. وحاول فتحي زهير إيصال رسالة بورقيبة إلى صهره وإقناعه بضرورة العدول عن مواصلة معارضته معللا ذلك بعدد من الأسباب لكن صالح بن يوسف تمسك بموقفه...وقام زهير بالمهمة لكن اصطدم برفض قاطع من الزعيم صالح بن يوسف وفشلت هذه الوساطة الضائعة في إنهاء الخلاف وتجنب وقوع القطيعة فالمواجهة بين الزعيمين.

نكتشف في ثنايا الكتاب أخبارا لا تخلو من طرافة لاقترانها بمسائل ومواقف وظروف بعينها وبقي حظ بعضها من الذيوع والانتشار محدودا جدا. من ذلك محاولة المقيم العام الفرنسي جان دي هوتكلوك (Jean de Hauteclocque) التخلص من الامين باي بسبب مساندته الحركة الوطنية، وذلك بحبك مؤامرة لتسميمه سخر لتنفيذها أحد المقربين من الباي. لكن المؤامرة أجهضت بعد ان تراجع هذا الأخير في آخر لحظة عن تسليم كمية السم الى طباخة القصر.

في نفس السياق، يروي الكاتب جانبا من الظروف التي حفت بترشح فتحي زهير لمنصب عميد المحامين إلى جانب عدد من زملائه ومن بينهم الاستاذ الباجي قائد السبسي مشيرا الى ان السبسي أعلن في نهاية الأمر عن تخليه عن الترشح للعمادة لأنه «لا يمكن له ان يترشح في وجه من أشرف على تربصه».

من المُلْحات الأخرى التي يمكن أن يكتشفها القارئ وهو يتصفح الكتاب، ما كان يتردد في بعض الأوساط في ذلك الوقت من أخبار وحكايات عن قرب فتحي زهير من الفنانة الذائعة الصيت حينذاك فتحية خيري وتردده على بيتها رفقة صديقه صالح بن يوسف وكان بيتها ملتقى لمشاهير الأدباء والفنانين (ص 222).

ماذا عن فتحي زهير الرياضي؟

مسيرة زهير الرياضية لم تكن في مثل أهمية مسيرته السياسية. انضم في بادئ الأمر الى جمعية الترجي الرياضي - فرع كرة القدم - لكن نجمه لم يسطع وبقي في الصفوف الخلفية للنادي كحارس مرمى قبل ان يرحل إلى النادي الأفريقي حيث أصبح حارس مرمى النادي الأساسي إلى حين اعتزاله هواية كرة القدم بعد ان أصيب بكسر بليغ في إحدى المقابلات. لكن عاد إلى الأفريقي ثانية بعد ان اختارته الاسرة «الافريقية» رئيساً للنادي (1967).

أورد المؤلف ضمن الفصل الأخير من الكتاب جملة من الشهادات (19 شهادة) حول مسيرة فتحي زهير الطالب الشاب والمناضل والدبلوماسي والسياسي، قدمها تونسيون وتونسيات عرفوه عن كثب، نذكر من بينهم أرملته تراكي باي، وأرملة الزعيم صالح بن يوسف، والأستاذ مصطفى الفيلالي، وأحمد المستيري الخ.

شمس FM، وين إنت، وين أحنا

www.shemsfm.net

في الذّكرى الثّمانين لوفاة الطّاهر الحدّاد

وثيقة نادرة: عبد العزيز العروي ينضمّ إلى الجدل الدّائر حول كتاب الحدّاد «إمرأتنا في الشّريعة والمجتمع»

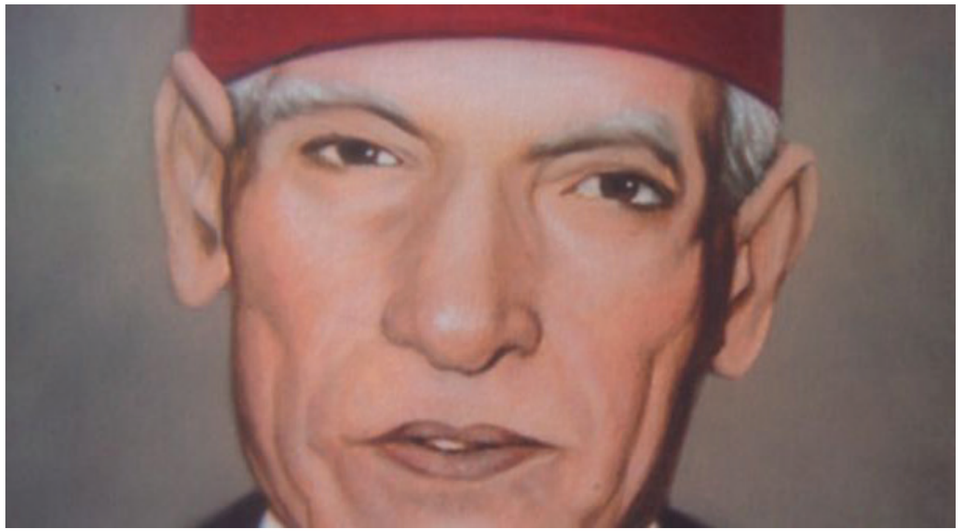

بقلم الحبيب الدريدي

حلّت منذ أسابيع قليلة الذّكرى الثّمانون لوفاة المفكّر الرّائد والمصلح الإجتماعيّ الطاهر الحدّاد (1899-1935)، وهي في الآن نفسه الذكرى الخامسة والثمانون لصدور كتابه الخطير «إمرأتنا في الشّريعة والمجتمع» (1930).

ولعلّنا لا نجانب الصّواب إذا قلنا إنّ هذا الأثر يعدّ من أهمّ الكتب في تاريخ الثّقافة التّونسيّة في القرن العشرين وفي تاريخ الفكر التّونسيّ الحديث، بل هو أكثرها إثارة للجدل في زمنه وربّما إلى أيّامنا هذه.

وقد اتّخذ ذاك الجدل أبعادا مختلفة: فهو في البداية جدل فقهيّ صرف يتّصل بالأحكام الواردة في القرآن بشأن المرأة، ولا سيّما في مسائل الشّهادة والقضاء والميراث والزّواج والطّلاق، ثمّ أصبح جدلا فكريّا يتعلّق بمناهج التّفكير في المسائل الدّينيّة، ومن ثمّ بالمفاهيم والفعاليّات الذّهنيّة التّي تحكم رؤية الأشياء وطريقة التّعامل معها في مجال اكتساب المعرفة وإنتاجها مطلقا. وامتدّ هذا الجدل ليلامس المجال السّياسيّ عندما أصبحت أفكار الحدّاد محلّ تأييد أطراف سياسيّة معيّنة وموضع معارضة أطراف أخرى.

ولا شكّ في أنّ كتاب الحدّاد، بقراءته المتطوّرة للنّصّ الدّينيّ، يعكس جرأة واضحة في التّناول وعمقا في المقاربة ومنزعا حداثيّا تنويريّا لا يخفى، وقد انضمّ إلى الجدل المثار حوله - فضلا عن بعض شيوخ الجامع الأعظم ومدرّسيه وجملة من المثقّفين من أصدقاء الحدّاد- عدد من الكتّاب الصّحفيّين أثروا هذا الجدل وصبغوه بصبغة خاصّة لأنّهم خرجوا به من دائرة النّقاش الفقهيّ العقائديّ المختصّ إلى ألوان أخرى من النّقاش تتّصل بقيم التّحرّر والحداثة والتّنوير، وتسعى إلى أن تتعمّق تلك الضجّة فتضع الخصومة حول الآراء الواردة في الكتاب في سياقها السّياسيّ والاجتماعيّ والتّاريخيّ. ومن بين المساهمات اللّافتة المقال الذي كتبه عبد العزيز العروي (1899 - 1971) يوم 24 أكتوبر 1930 بجريدة «الهلال» LE CROISSANT، وهي صحيفة أسبوعيّة أسّسها العروي في صائفة 1930 ولم يصدر منها سوى ثلاثة عشر عددا بين أوت ونوفمبر من نفس السّنة، مازال يحتفظ بها قسم الدّوريّات بالمكتبة الوطنيّة التّونسيّة.

ولهذا المقال – كما سنبيّن لاحقا- أهميّة بالغة على أصعدة مختلفة، ولذلك رأينا أن نترجمه إلى العربيّة ونعرّف به ونتدبّر أهمّ دلالاته وأبعاده. وهو يعرّب بأكمله لأوّل مرّة على أعمدة ليدرز العربيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّنا وجدنا أثناء البحث أنّ الأستاذ أحمد خالد ذكر هذا المقال في كتابه «أضواء من البيئة التّونسيّة على الطّاهر الحدّاد ونضال جيل» (الدّار التّونسيّة للنّشر، ط 3، 1985، ص ص. 367- 369) وأورد منه بعض الشّواهد معرّبة، كما نشره محمّد التّركي في أصله الفرنسيّ ضمن كتابه ABDELAZIZ LAROUI TÉMOIN DE SON TEMPS (ED. TURKI, (1988, P P. 189 – 191

النّخب التّونسيّة وقيم الحريّة والحداثة والتّنوير

تكمن أهميّة المقال الذّي كتبه العروي أوّلا في أنّه نشر يوم 24 أكتوبر 1930، أي في أوج احتدام الجدل حول كتاب الحدّاد وبعد أسبوع واحد من حفل التّكريم الذّي نظّمه أنصار الحدّاد وأصدقاؤه يوم 17 أكتوبر 1930 بالبلفيدير. ثمّ إنّ هذا المقال وإن كان مفيدا في معرفة جانب من ردود أنصار الحدّاد على خصومه، فإنّ فائدته أعظم في فهم خصائص السّياق السّياسيّ والحضاريّ والوطنيّ الذّي صدر فيه الكتاب، ذلك أنّ المواقف المناوئة للكتاب لم تصدر فقط عن خلفيّات فقهيّة دينيّة وإنّما يختلط فيها الفكريّ (معارضة كل منازع التّجديد والتحديث والتّنوير) بالسّياسيّ (انسلاخ الحدّاد من الحزب القديم) والدّينيّ (محاولة شيوخ الزّيتونة التّكفير عن ذنب مساندة تنظيم المؤتمر الأفخرستي بتونس).

ولكنّ الأمر الجدير بالإبراز في هذا الصّدد هو أنّ المقال وثيقة بالغة الأهميّة من جهة شهادته على منزلة قيم الحريّة والحداثة والتّنوير في فكر النّخب التّونسيّة في بداية الثّلاثينات – وقد كانت الصّحافة آنذاك المهاد الحاضن لتجلّيات هذا الفكر-، فما كتبه العروي إنّما هو صدى لتعلّق المثقّفين التّونسيّين صحفيين وأدباء وكتّابا بقيم أساسيّة في ممارسة الكتابة والنّقد وفي مقدّمتها قيم الفكر الحرّ والنّظر الطّليق. وقد ألحّ العروي على هذا المعنى في بداية المقال وفي خاتمته، فكأنّه قصد إلى ذلك قصدا فجعل حريّة التّفكير فاتحة مقاله و«قَفْلَتَهُ» تأكيدا لدور النّخب في مناصرة الحقّ ومناهضة الظّلم والذّود عن حريّة التّفكير والإيمان بأنّ الجهر بالرّأي في نزاهة وتجرّد هو المحرّك الأوّل لتطوّر العقل.

ويعكس المقال من جهة أخرى تجذّر المنزع الحداثيّ التّنويريّ لدى طبقة واسعة من

قَـارِنُـوا واحْـكُـمُـوا

بقلم: عبد العزيز العروي (صحيفة Le Croissant
العدد 10-11 ، 24 أكتوبر 1930)
تعريب: الحبيب الدّريدي

النّخب التّونسيّة في الثّلث الأوّل من القرن الماضي لم يكن الحدّاد سوى أنموذج عنه، ذلك أنّنا نلمس هذا المنزع في كتابات كثير من أعلام الفكر والثّقافة عصرئذ من أمثال محمّد الطّاهر ابن عاشور في مقاربته المقاصديّة للشّريعة الإسلاميّة وفي مواقفه من إصلاح التّعليم الزّيتونيّ، ومحمود المسعدي في كتاباته الأدبيّة المواكبة لأكثر التّيارات الفكريّة جدّة، وسالم بن حميدة في مواقفه العديدة ومنها موقفه من كتاب الحدّاد، وغيرهم كثير.

العروي والمسألة الوطنيّة

يعتبر مقال العروي وثيقة هامّة أيضا في الإلمام بمواقف بعض شيوخ الزّيتونة من القضايا الوطنيّة الكبرى في تلك المرحلة وفي مقدّمتها مسألة الهويّة الوطنيّة، فقد واجهت تونس في بداية الثّلاثينات حملة قويّة هادفة إلى طمس معالم هويّتها من خلال حملات التّنصير والقوانين المشجّعة على التّجنيس، وقد ترجمت تلك الحملة على نحو جليّ في تنظيم المؤتمر الأفخرستي ببلادنا في ماي 1930.

ويرشح المقال بموقف وطنيّ خالص نزيه، فحملة العروي على شيوخ الزّيتونة لا تستند إلى موقفهم من كتاب الحدّاد فحسب، وإنّما تجد بواعثها في الدّور المعيب الذّي اضطلع به بعض أولئك الشّيوخ في المساعدة على إنفاذ برامج الفرنسة والتّنصير، فالواضح من مقال العروي أنّه يدين بشدّة وبأسلوب حجاجيّ مفحم تساهل شيوخ الدّين وتواطؤهم مع المظاهر التّي تستهدف المساس بالهويّة الوطنيّة بسبب إذعانهم لإرادة سلطة الباي والسّلطة الاستعماريّة. ففي حين كان يجدر أن يكون شيوخ الزّيتونة حماة للهويّة وذادة عن الشّخصيّة الوطنيّة إلاّ أنهم قبلوا بأن يكونوا مجرّد أدوات طيّعة يوظفها القصر والإقامة العامّة لتبرير المشاريع الهادفة إلى محو معالم الهويّة الحضاريّة والتّاريخيّة للبلاد، فسكتوا عن حملات التّبشير ومحاولات الإساءة للإسلام. بل إنّ اسمي شيخ الإسلام ومفتي الدّيار قد ظهرا ضمن قائمة الهيئة الشّرفيّة للمؤتمر التّي نشرتها الصّحف التّونسيّة آنذاك.

العروي وحركيّة المجتمع التّونسيّ في الثّلاثينات

ويستمدّ مقال العروي أهميّته كذلك من أنّه وثيقة تفصح عن ديناميكيّة المجتمع التّونسيّ في بداية الثّلاثينات وحركيّة عدد من مكوّناته، فهو يشير إلى تنامي الحسّ الوطنيّ ويقظة الفكر التّحرّري لدى الكثير من الأوساط، تعبّر عن ذلك التّحرّكات التّلمذيّة والطّلابيّة ضدّ تنظيم المؤتمر الأفخرستي بتونس ومواقف المثقّفين والصّحافيّين والكتّاب والأدباء من البرامج الاستعماريّة الرّامية إلى طمس مقوّمات الهويّة الوطنيّة، وهي مواقف يعبّر عنها مقال العروي نفسه، ولا سيّما في تمسّكه الشّديد بحريّة الفكر والتّعبير وشجاعته في نقد شيوخ الزّيتونة وثباته على مبدإ مناصرة الحقيقة والإقدام على تحمّل نتائج هذا الاختيار. وعلى هذا النّحو يتّضح أنّ المقال لا يخلو من طرافة وتميّز، فهو يضرب صفحا عن المهاترات التّي سادت تلك الفترة وبلغت حدّ الإقذاع والتّحريض والتّكفير، وينأى عن المبارزات الفقهيّة التّي تدّعي امتلاك الحقيقة ويختار سبيلا تعتصم بالقيم الثّابتة: قيم الحريّة والتّنوير وتنتصر للرّصانة والموضوعيّة والإنصاف.■

ح.د.

في الوقت الذّي لا ننفكّ عن مطالبة فرنسا بحريّة التّفكير والكتابة، تسعى «النّظّارة العلميّة» أو هيئة علماء الجامع الأعظم إلى إرجاعنا قرونا عديدة إلى الوراء، فتطلب من الحكومة - بتعلّة ما لست أعرف أي ضرب هو من ضروب التّعصّب الضيّق الأعمى- أن تمنع كتاب «إمرأتنا في الشّريعة والمجتمع» للسيّد الطّاهر الحدّاد.وما دمت لم أقرأ هذا الكتاب بعدُ، فأنا لا أعلم ما إذا كان يستهدف حقّا العقائد القرآنيّة التّي يزعم هؤلاء السّادة من أهل «النّظارة» أنّهم حماتها البواسل. ولكن ليسمحوا لي بأن أرى حماستهم في الدّفاع عن عقيدة تركوها تُداس بسبب تساهلهم – إن لم أقل بسبب تواطئهم- حماسة في غير محلّها وموقفا يأتي بعد فوات الأوان.

فهل اهتزّت مشاعرهم عندما شاع بين النّاس كتاب السيّد «بونس» Pons، وهو نصّ مطوّل في التّهجّم على الإسلام، مليء بالشّتائم المقذعة ضدّ نبيّنا؟ وهل عبّروا عن استيائهم خلال الكرنفال الأفخرستي عندما عمد أصحابه إلى توزيع مناشير خضراء كُتبت باللّغة العربيّة تحرّض المسلمين على أن يرتدّوا عن دين آبائهم ويعتنقوا المسيحيّة؟

وهل أبدوا حتّى مجرّد الاستنكار لإقامة الاستعراض الصّليبيّ بمشاركة فتيات الصّليب وفتيانه؟ وهل حرّكوا ساكنا حين شيّد أتباع السيّد «لوماتر» LE MAÎTRE في مدخل مدينة قرطاج قوس نصر يحمل علامة الصّليب وعليه هذه النّقيشة: « بهذا سوف ننتصر» ؟

وهل حدث أن انزعجوا مرّة والرّاهبات تجبن في كلّ يوم أنهج المدينة العتيقة وتتسلّلن إلى البيوت لتوزّعن قطع الحلويّات وأغراضا تعبّديّة مسيحيّة داعيات الآباء إلى إرسال بناتهم إلى مدارس الرّهبان؟

لم يحدث شيء من هذا إطلاقا، ففي ذاك الوقت كان هؤلاء السّادة يهضمون «ملوخيتهم» في دعة وخلوّ بال ويتلون سُبحاتهم في غبطة وهم ينظّفون أصابع أقدامهم دون أن ينبسوا ببنت شفة. ولو فعلوا وقتئذ ربع ما يفعلونه اليوم ضدّ كتاب الحدّاد لأجبرت الأسقفيّة على إلغاء كرنفالها ووضع حدّ لمهازلها السّخيفة.

لقد سُجن شبّان يافعون وطلبة علم لمجرّد أنّهم تظاهروا احتجاجا على اعتزام إدارة التّعليم العموميّ وضع أسرّة داخل مسجد المدرسة الصّادقيّة لإقامة الرّهبان المشاركين في المؤتمر، ولكنّ هؤلاء السّادة لم يحرّكوا ساكنا. وتمّ استدعاء صحفيّين عرب إلى مقرّ إدارة الأمن وهُدّدوا بإيقاف صحفهم، كما تمّ تحميلهم مسؤوليّة كلّ تحرّك شعبيّ ضدّ الكرنفال الأفخرستي، غير أنّ هؤلاء السّادة لم يبدوا حراكا. فكان لا بدّ من صدور كتاب الحدّاد لإيقاظ القوم من سباتهم، وهاهم ينتصبون اليوم مثل رجل واحد للدّفاع عن الإسلام المهدّد في أركانه ويأسفون لعجزهم عن أن يصدروا ضدّ الحدّاد المسكين مرسوم الحرمان الأكبر وأن يمنعوا كتابه أو بالأحرى أن يجعلوا من نُسخه مَحْرَقة تصطلي بها قدماه فيذيقونه عيّنة من عذابات نار جهنّم ويجتثّون من صدره نهائيّا نيّة إلقاء الشّكّ في نفوس المؤمنين الخلّص.

وللإيفاء بمتطلّبات هذه القضيّة أُعيد إلى السّاحة سيّدي الصّادق النّيفر، وهو دستوريّ قديم وقاض معزول، وحسب أصداء تتردّد بإلحاح في المدينة قد تتّجه النّيّة حقّا إلى إعادة إدماجه في سلك القضاء. ومن أجل تهيئة الرّأي العام لهذا الأمر ها هو يقتحم المشهد في ضجّة مدوّية فيلقي دروسا في الجامع الأعظم ضدّ كتاب الحدّاد ويحلّ محلّ سيّدي حمدة الشّريف ويجلس في مجلسه. وعلى هذا النّحو يكيل الدّاعية الجديد – مشحونا بالعقيدة والشّرف المعتدَى عليهما- أشدّ الاتّهامات عنفا وأكثرها تطرّفا ضدّ مؤلّف كتاب «إمرأتنا في الشّريعة والمجتمع»، هذا المؤلّف الذّي يحتجّ على هذا الشّرف الذي ناله في تواضع واستحياء معهودين لديه.

ولكنّ الدّستوريّ القديم والقاضي السّابق أخطأ خطأ شنيعا، فقد كان يريد أن يستثير السّامعين إعجابا وتعظيما فتهتزّ نفوسهم شفقة على المصير الذي انتهى إليه رجل مثله على ذاك القدر من الورع والتّقوى يتعرّض إلى العزل جرّاء قرار ظالم. وكان بإمكان عودته إلى «الدّيوان» أن تحدث دون أن يفطن لها أحد بل أن تستقبل بالفرحة، ولكنّ «المكتوب» ورجاحة عقل الشّعب البسيط كان لهما رأي آخر.

وبهذا كاد كتاب الحدّاد أن يعيد سيدي الصّادق النّيفر إلى سالف وظيفته ولكنّ السّهام كانت طائشة. ومع ذلك فلا شيء يوحي بأنّ النّظارة العلميّة سترفض طلب منع الكتاب. بل يجب أن نتيقّن – على خلاف ذلك- بأنّ النّظارة وقد خاب سعيها بشأن استرجاع عنصر لامع من عناصرها وإعادة الاعتبار له ستلحّ أكثر فأكثر على منع الكتاب حتّى تشفي غليلها. وإزاء عقليّة الإدانة التّي تبديها النّظارة العلميّة لن تعوزنا الحيلة في تصعيد احتجاجاتنا باسم حريّة الفكر التّي جعلناها في مقدّمة برنامجنا.

ولا يعزب عنّا أنّ هذا الموقف من شأنه أن يثير عاصفة من الأراجيف والافتراءات ضدّ صحيفتنا، ولكنّ ذلك لن يزعجنا، فعلينا أن نضطلع بواجبنا كتونسيّين بكلّ شجاعة لا باعتبارنا أنصارا للسيّد الطّاهر الحدّاد، وإنّما بوصفنا فقط أصدقاء للحقيقة وللحريّة.■

الـزبيـر التركـي : المسـيـرة الـفـــــذّة والإرث الضّـــائــع

بقلم علي اللواتي

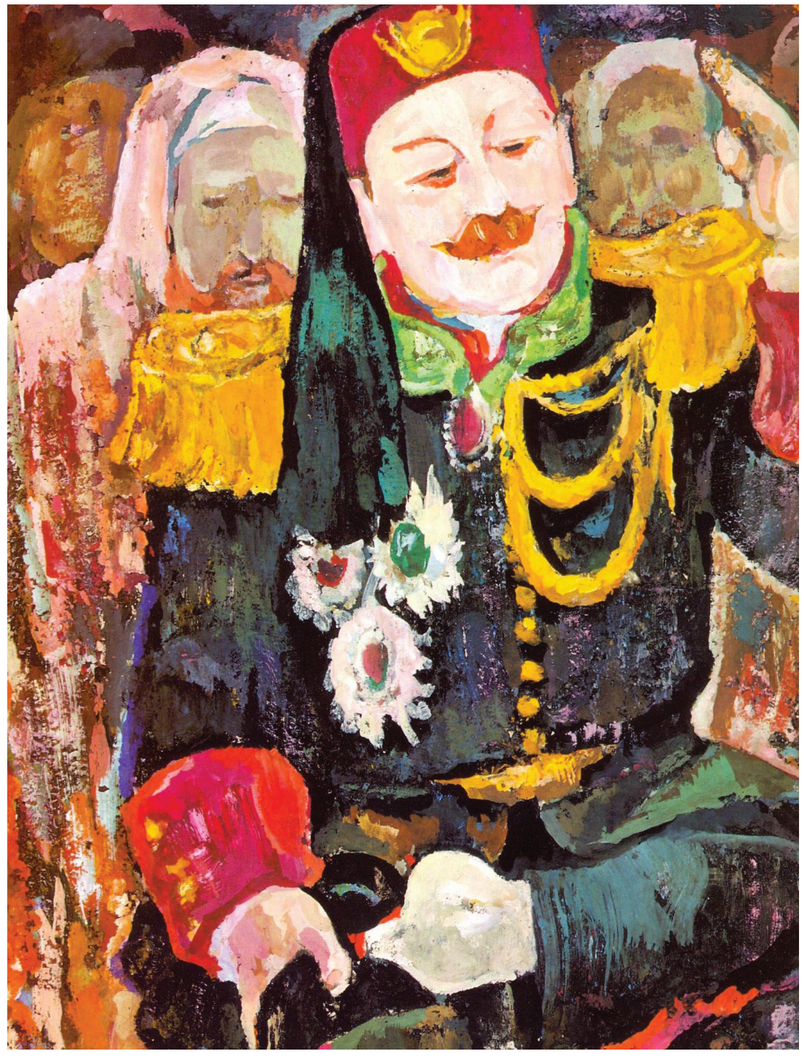

مضى الآن على رحيل الزّبير التّركي ستّ سنوات وبضعة أشهر وانقضت معه مرحلة من فنّ الرّسم التّونسي، كان له فيها بالغ الأثر كمبدع لمنظومة فنيّة متكاملة وكمحرّك للسّاحة الفنيّة ومنظّم لصفوف الفنّانين، سواء من موقعه كمستشار بوزارة الثّقافة أو كرئيس مؤسّس لاتّحاد الفنّانين التّشكيليين طيلة عقود. رحل الزّبير وترك في أعماله شهادة ثريّة على مجتمعه وصورة حيّة للمدينة العتيقة دأب على رسمها برؤية العاشق الكلف بأجوائها وأحيائها، الشّاهد علىَ أحوالها و النّافذ إلى أعماق نماذجها الإنسانيّة، معبّرا بتبصّر وذكاء عن حقائق اجتماعيّة وثقافيّة قلما نفذ إليها غيره ممّن تناولت أعمالهم الفكريّة أو الفنيّة أو الأدبيّة موضوع المدينة.

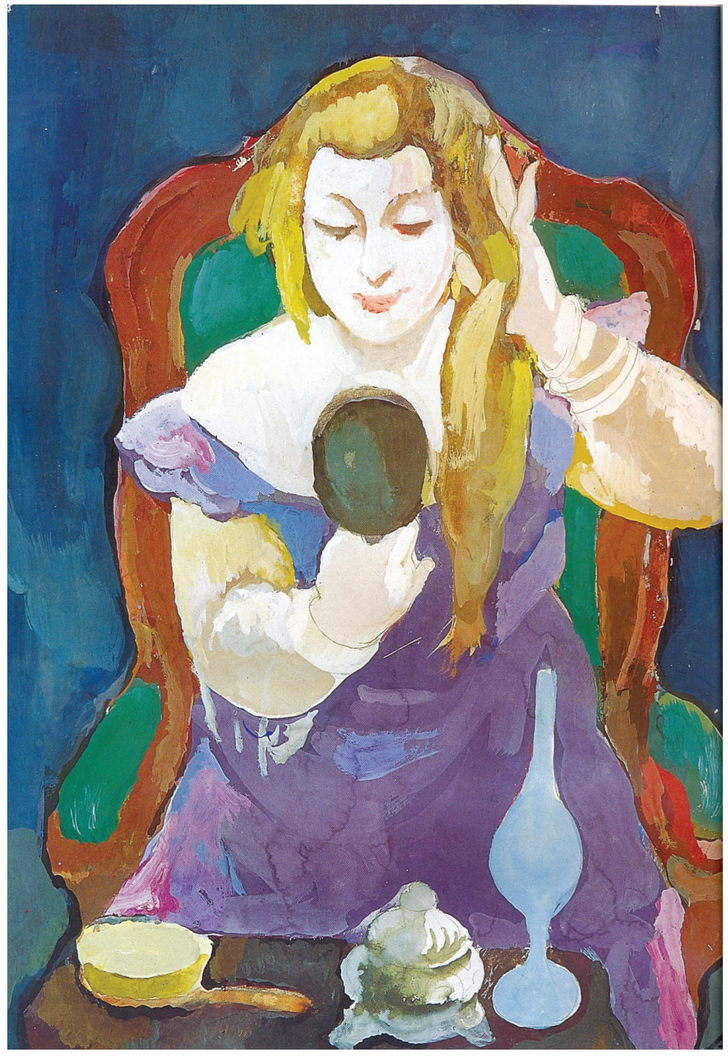

أين متحف الزّبير التّركي ؟!

ولعلّ الذين عرفوه عن قرب وامتـزجـوا به يذكرون ما أنفق من جهـد في إعـداد متحـف يعرض حصيلة أعماله طيلة عقود من الزّمن. ولعلّهم، وقد واكبوا مراحل بناء المتحف وتهيئته، يذكرون ما بذله في سبيل إنجازه من تضحيات، حتّى أنّه كان لا يبيـع من أعمـاله سوى بعض التّخطيطات، محتفظا بما ينتجـه من رسومـه لمشروعـه الكبير الـذي كان شغله الشّاغل بل هاجسا مقيما، ملك عليه عقلـه ووجـدانه؛ ولعلّهـم، وقد انتقل الرجل إلى دار البقاء، يتساءلـون أين متحفـه وأيّ مصـير لمشـروعه ومـا الذي ينبغي على ورثته وعلى الدّولة فعله ليتحقّق حلم واحد من أكبر الشّخصيات الثّقافيّة الوطنيّة. إنّها لمشكلة حضاريّة حـقّا أن لا تجـد الرّؤى الكبـيرة بعـد مـوت أصحـابها سنـدا يضمن استمرارها في وجدان المجموعة كجسور بين المـاضي والحـاضر؛ وإنّها لخسارة للذّاكرة الجماعيّة أن لا ينجز مشروع كان صاحبه يسمّيه «متحف الشّعب». غير أنّ تلك قضيّة يضيـق المجـال هنا عن الاسترسـال فيهـا وحسبنـا التّـذكير في هـذه السّطـور ببعض ما قدّم الزّبير التّركي لثقافة تونس وما أسهم به في بناء شخصيتها العريقة.

رؤية اتّصالية ومسار فنيّ مميّز

لم يكن الفنّ في حياة الزّبير التّركي عزلة متعالية أو غوصا في الذّات، بل كان تواصلا وتفاعلا مع ما يجدّ من أحداث وقضايا في حياة المجموعة كما كان إسهاما نشطا في مجالات متنوّعة مثل النّحت بإنجازه تمثال العلاّمة ابن خلدون، وتزويق الكتب لأصدقائه من الأدباء، وتصميم المناظر والملابس للمسرح. لقد أخذ الكثير من المجتمع ومنحه، في المقابل، الكثير. وتنعكس تلك الرؤية التفاعلية في عمله التّشكيليّ حيث اختار منذ عودته من دراسته بالسّويد سنة 1958 طرقا مبتكرة لم يتّبعها غيره من الفنّانين التّشكيليين في ممارسة الفنّ وتبليغه إلى الجمهور.

لم يقتصر الزّبير التّركي على عرض أعماله في إطار الأروقة الفنّية أو التّظاهرات الأخرى مثل الصّالونات والبينياليات على عادة الفنّانين، بل اتّخذ منهجا اتّصاليّا من خلال أشكال تعبير مختلفة مثل الكاريكاتور والقصص المصوّرة والإشهار والتّصاوير المصاحبة للنّصوص الأدبيّة، ممّا أسهم في تيسير التّعامل مع تلك الأنماط لدى النّاس وبثّ فيهم حسّا فنيّا ما في علاقة مع الثّقافة التّقليديّة وقيمها الإنسانيّة، محقّقا لعمله تأثيرا مباشرا في الواقع الاجتماعي لم يتحقّق لغيره من الفنّانين الذين بقوا شبه منعزلين داخل قاعات العرض الموسميّ أو التّظاهرات الظّرفيّة. وهكذا أصبح اسم الزّبير التّركي في وقت ما مرادفا للفظ «الرّسّام» ذاته. لقد مارس الفنّان، لسنوات عديدة، تلك

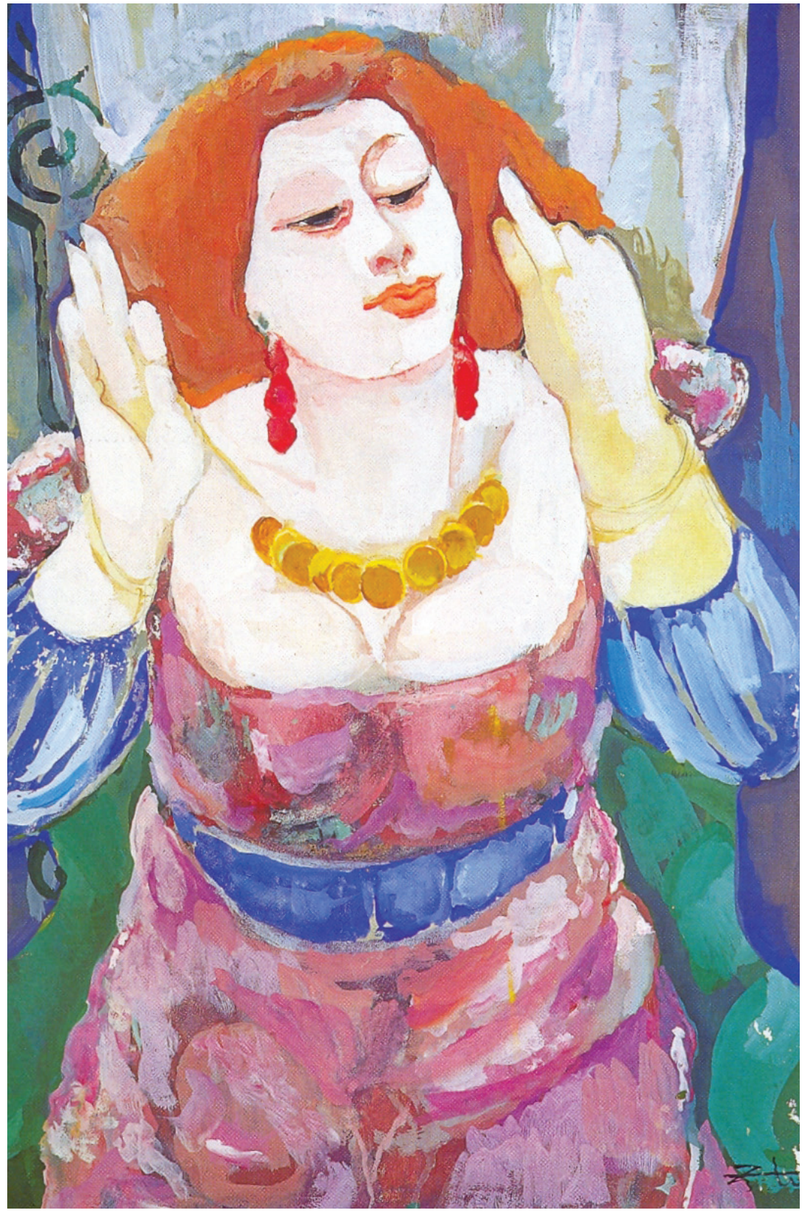

الأنماط ذات البعد الاتصالي في مجّلات منها «فائزة» و«الإذاعة والتّلفزة» وفي الجرائد مثل «أفريك ـ أكسيون» وغيرها، محقّقا بذلك حضورا لافتا في أذهان التّونسيين ووجدانهم. لقد أصبح الزّبير التّركي الفنّان الأكثر شهرة بفضل فنّ يمتزج فيه روح الدّعابة بالفهم الدّقيق لمغزى الأحداث السّياسيّة والإجتماعية والثّقافيّة، إضافة إلى أثره الرّائد في تشكيل مفهوم «الرّسّام» على نحو واضح في الوعي الجماعي.

الزّبير التّركي والميراث التّصويريّ العربيّ

تميّز الزبير بتعدّد المواهب إذ مارس الرّسم المسنديّ والفنّ الجداري والنّحت، وأكثر ما عُرِف به، التصوير المعتمد لخطّ مرن ينساب معبّرا في اختزال وبساطة عن جوهر الأشكال وخاصّة منها تلك المحدّدة للصّورة البشريّة التي يشحنها بحيويّة فيّاضة فنكاد ننفذ، من خلال حركتها وملامحها، إلى أفكارها وحالاتها النّفسيّة. وينطوي تصويره الخطيّ على إيحاءات ذات أبعاد حضاريّة وروحيّة تعبّرُ عن بيئة عربيّة إسلاميّة عميقة الجذور بمطواعيّة وانسيابية فذّة. وقد كان الفنّان يعتبر أسلوبه أقرب إلى تقاليد التصوير الإسلامي القديمة منه إلى الفنّ الغربيّ وكان يعجب كثيرا بمنمنمات مدرسة بغداد القديمة من القرن السّابع الهجري، وبنابغتها يحيى بن محمود الواسطي.

الفنّان والكوميديا الإنسانيّة

وللفنّان الرّاحل ميزة أخرى تتمثّل في اعتماد النّفس الحكائي في رسومه وتصاويره على نحو لا يمسّ بقيمتها التّشكيليّة الصّرف بل يكمّلها ويدعمها بإضفاء مسحة واقعيّة عليها تعمّق صلتها بالمجتمع التّونسي. إنّ شخصيات الزّبير التّركي المحبّبة إلى وجدان التّونسيين لا تشكّل عالما حكائيّا متنوّعا فقط وإنّما مسرحا حقيقيّا للذّاكرة الجماعيّة ومجالا فسيحا لكوميديا انسانيّة متعدّدة الشّخوص من ماضي البلاد وحاضرها، يمثّلها شيوخ جامع الزّيتونة ورجال الإفتاء والوكلاء الشّرعيّون وعدول الإشهاد وأهل الحرف مثل أرباب صناعة «الشّاشية» والبرانسية وغيرهم، ونماذج من الطبقة الشّعبية مثل نُدُل المقاهي وصانعي الفطائر والباعة المتجولين، إضافة إلى شخصيّات نسائية لعلّها الأكثر التصاقا بالذاكرة الجماعية مثل «أمّك صنّافة» و«الحنّانة» وغيرهما. ولئن ذكّرت ملامح تلك الشخصيّات بأناس كان عرفهم الفنّان شخصيّا، فإنّها تبقى في الغالب نماذج عامّة ذات جذور في الوجدان الجماعيّ.

رحل الفنّان الفذّ منذ ستّ سنوات وترك تراثا يتوزّع اليوم بين ورثته وبين المجموعات الخاصة مع القليل من الأعمال على ملك الدّولة وكان يحلم بتجميعه في مؤسّسة تتيح للنّاس التّعرّف على مسيرته وإسهامه الكبير في الثّقافة الوطنيّة. لقد انشغل المجتمع بهزّاته وصراعاته عن واجب الوفاء له ولو بالقليل ممّا يستحقّ، ولم يبق من ذكراه سوى تمثال ابن خلدون في ساحته العموميّة أو بعض أصداء متلاشيّة هنا وهناك وشجن مُقيم عند أصدقاء مقرّبين، يتذاكرون في لقاءاتهم مُلَحَهُ الطّريفة ودعاباته اللاّذعة.■

ع.ل

نيبال: بلد الفقر والجمال!

بقلم عبد الدايم الصماري

يقول النيباليون إن بلدهم هو أشبه «بساندويتش» بين عملاقين: الهند والصين. والحقيقة أنه سندويتش استثنائي المذاق. كيف لا وهو بلد سقف العالم: الإيفريست، الواقع في أعلى سلسلة جبال في العالم: الهيمالايا.

زرت نيبال في مهمة صحفية. كانت فرصة نادرة لأرى نيبال في لحظات غروب العصر الملكي فيها، والذي امتد لقرون عدة، ليعلن فيها النظام الجمهوري، ابتداء من صيف العام 2008.

مطار

العـــاصمة كاتماندو صغير جـــدا، وخدماته متواضعة للغاية. لكن النيباليين الذين تعودوا قدوم قوافل السياح من جميع أركان الأرض، لهم من سعة الصدر والصبر على ظروفهم الصعبة ما يجعلك تقبل بالطوابير الطويلة، والانتظار الذي لا ينتهي، وهزال الإمكانيات.

في الطريق إلى الفندق، بدت لي كاتماندو مدينة تعج بالحياة، والفقراء.. أكداس من البشر في أسواق ضيقة ومتداعية، وباعة يعرضون أي شيء، ودخان الشواء يتصاعد من كل زقاق، دون أن يثير لديك أية شهية.. الروائح العفنـــة تتسلل عبر نوافذ التاكسي بلا مقدمات، وشظف العيش على قارعة الطريق.. والمعابد في كل ركن وزاوية.

ديانتان رئيسيتان تتعايشان في نيبال دون صدام: الهندوسية الغالبة، والبوذية بعدد أقل.. إلى جانب عدد ضئيل من المسيحيين، وقلة قليلة من المسلمين.. يعتبر البوذيون في نيبال أرضهم مقدسة أكثر من غيرها، بما أنها شهدت ولادة بوذا، وعلى قممها عاش، وألقى بتعاليمه. وتلك قصص طويلة جدا.

دخلت الفندق.. كان اسمه «ياك أند ياتي» .. عرفت لاحقا أن «ياك» و«ياتي» هما كائنان خرافيان يدّعي الناس منذ قرون أنهم يرونهم أحيانا يعبران بين جبال الهيمالايا ووهادها السحيقة.. لا أحد يجزم بالرواية، ولا أحد ينكرها.. في أرض تلك الجبال الشاهقة جدا، الأساطير أيضا لا سقف للخيال فيها!

على صخرة تتوسط حديقة الفندق التي تعج بالزهور المختلفة، آثار قدم ضخمة بخمسة أصابع.. إنها خطى واحد من الكائنين الخرافيين..أحد العملاقين مر ذات ليلة من هنا!.. وهذا أمر لا فائدة من أن تجادل فيه عمال الفندق..!

المفارقات في نيبال لاحصر لها.. بلد ذو جمال طبيعي أخاذ، لكن الفقر ينهشه من كل ناحية.. أما التلوث، فظاهرة تصل حد الرعب.. والاختناق!..أدخنة عوادم السيارات تبعث سحابة سوداء تلاحقك أينما حللت.. يقتات نيبال على كمية وقود محدودة توفرها لهم الجارة الكبيرة الهند.. طوابير الشاحنات القديمة والسيارات المهترئة، ولكن خاصة الدراجات النارية وتاكسيات «التكتك»، تمتد بلا نهاية أمام محطات الوقود.. في الحقيقة هي ليست محطات بالمعنى المتعارف عليه، بقدر ما هي مضخات للبنزين مثبتة هكذا على قارعة الطريق، والعاملون فيها بإمكانهم أن يتوقفوا عن البيع في أي لحظة يريدونها، في حال أزعجتهم الفوضى، أو نال منهم التعب!

وسط الأدخنة التي تنبعث من كل شيء، وخاصة من بوابات المعابد، وبين بسطات الشوارع التي تبيع كل شيء، وأي شيء، تكابد أكداس الكتب لتجد مكانا لها وسط الفوضى.. أغلبية الكتب باللغة النيبالية ، وهي إحدى اللغات الهندية، وتتكلمها الأغلبية من بين الثلاثين مليون نيبالي.. ويمكن أن يقفز إلى ناظريك غلاف كتاب عن صدام حسين، وغلاف آخر بصورة جورج بوش.. صراعات الشرق الأوسط قريبة من النيباليين، وجنودهم المرتزقة المعروفون «بالغوركا» منخرطون منذ زمن في حروب المنطقة.

فوضى حركة السير لا يمكن أن تتوقف إلا لسبب واحد: عندما تقرر بقرة أو أكثر أن تعبر الشارع.. البقر مقدس في الديانة الهندوسية.. لم تكن دهشتي لتخفى على المترجم النيبالي الذي كان يرافقنا.. كان يجيب عن السؤال قبل أن أطرحه.. قال: «في أساطير ديانتنا أن البقرة حملت بأحد آلهة الهندوس. ولذلك وقوفنا احتراما لها هو تقديس للرحم الذي حمل بتلك الآلهة.. نحن لا نذبحها ولا نأكل لحومها.. لكننا بالطبع نستخدمها في الزراعة وحقول الأرز».. من أطرف ما حدثني عنه مرافقي أيضا أن التجار يتبركون بالبقرة التي تتوقف أمام دكاكينهم صباحا لتأكل ما قد تجده

أمامها.. لذلك يعمد الكثير منهم إلى ترك بعض العشب أمام محلاتهم قبل إغلاقها ليلا.

قادتني المهمة إلى مدينة بوكهرا، على مسافة مائتي كيلومتر، غرب العاصمة كاتماندو.. بوكهرا هي بوابة الهيمالايا كما يسمونها. يتلوى الطريق كالأفعوان بين الجبال.. يرتفع حتى يصبح المشهد مخيفا، ثم ينحدر إلى أودية سحيقة.. عندما تلتقي شاحنتان، تتوقع أن إحداهما ستهوي لا محالة.. لكن النيباليين يعرفون دائما كيف يتعاملون مع تضاريسهم الوعرة..

وسط الغابات التي تتتالى مشاهدها على جانبي الطريق، تبدو قوافل النساء الحاملات على ظهورهن أكداس الحطب في شكل خيوط متلاحقة كالنمل.. ظهور مقوسة، تنحني تحت أحمال ثقيلة، تتبع بعضها بعضا بخطى وئيدة، في رحلة مضنية تتكرر منذ تاريخ بعيد.. الاحتطاب في نيبال مهنة الجميع تقريبا.. موسم البرد طويل وقاس.. والتدفئة توفرها الغابة، لا غير.. وشهور الصيف القصيرة هي فرصة تجميع الحطب للشتاء الطويل.

في وسط المدنية التي تقسمها بحيرة جميلة إلى شطرين، تعج المقاهي الصغيرة بالكثير من الغربيين القادمين لمغامرة تسلق الهيمالايا.. تبيع لهم المدينة أدوات التسلق، من أحذية ثقيلة، وزلاجات، وحقائب، ومواقد، وحبال، ومطارق طويلة للحفر في الثلوج وتثبيت المسامير.. كما تتوفر المكتبات على مئات الروايات

لمتسلقين سابقين كابدوا ويلات معركة الصعود إلى قمم الهيمالايا، وخاصة قمة إيفريست التي تقع على علو 8.848 مترا عن سطح الأرض.. ولأن الرحلة تحتاج إلى دليل، يعرض المئات من الشبان النيباليين وحتى من جنسيات أخرى خدماتهم على المغامرين الجدد.. والأسعار تحددها سوق العرض والطلب، ودرجة المخاطرة. لكن شوارع بوكهرا لا تعج بهؤلاء فحسب، بل هناك أعداد كبيرة أخرى من غربيين وآسياويين ، يتميزون بملابس هي أقرب إلى الأسمال البالية.. إنهم حجاج من معتنقي الديانة البوذية يأتون إلى المنطقة، ليسلكوا دروبا وعرة عند الجبال الواقعة على أطراف المدينة المتوارية بين تضاريس مدهشة.. يعتقدون أنها مسالك تضعهم على خطى أتباع بوذا الأوائل، الذين كانوا يقضون في تلك المناطق أوقات طويلة من التـأمل والصمت.. .. في التصوير على قمم بعض الجبال المحيطة ببوكهرا، شاهدت قوافل من أولئك، نساء ورجالا وأطفالا.. يسيرون حفاة على أرض صخرية تدمي الأقدام.. ويبدو أن في الرحلة تعذيبا ذاتيا مقصودا، للوصول إلى ما يسميه بعضهم بالألم المقدس!

في بوكهرا، سألت رئيس تحرير صحيفة محلية. قلت: أنتم بلاد الغابات، والمياه، والهيمالايا، والإيفريست.. كيف يحدث أن يكون النيباليون بكل هذا الفقر؟.. أجاب مبتسما: مشاكل نيبال عند سفح الهيمالايا، لا على قممها!.■

ع.ص.

رحلة في السّنـوات

بقلم الصّحبي الوهايبي

سنة 2058: أنا لا أحـبّ السّـير في الجنـازات، ولا أحبّ مواكبَ العزاء، لا لغلظة في القلب، ولكنّي أحسـب الموت شأنا حميميّا يخصّ الميّتَ وأهلَـه؛ لذلك كنتُ منزعجا ذلك اليوم وقد مات جـاري عبد الملك بن عمّار، وأهل بيتي يلحّون: «يجب أن تخرج للعزاء!»، فخرجتُ وجلستُ إلى سور حديقته، منتظرا صلاة العصر، ومَالَ إلي أحدهـم: «سيدهمنا العصر، لماذا تأخّروا في إخراج النّعش من البيـت؟»، ثمّ قام فذهب وجاء، ثمّ ذهب وجاء، ومال إليّ: «يبدو أنّ الدّفن تأجّل إلى الغد!»، وهَمْهَمْتُ ولم أتكلّم، فأنا بطبعي قليل الكلام، ولم ييأس: «هَرْدَة! هَرْدَة يا حاج!»، ثمّ طَبَعَ شفتيْه الغليظتين على أذني: «سي عبد الملك غير مختون! لم يدخل ملّة الإسلام! ولم يكتشفوا المصيبة إلاّ حين غسّلوه!»، وأمسكتُ لساني، فلا يليق برجل في مثل عمري أنْ يسـبّ ويلعن، لماذا ذهب المُغَسِّلُ إلى هناك؟ ألم يجد مكانا ينبش فيه إلاّ بين فَخِذَي الميّت؟ وغاب الرّجل ثمّ رجع إليّ، ورجع إلى عادته السّيّئة فطَبَعَ شفتيْه الغليظتين على أذني: «الحمد لله! فُرجتْ! سيختنونه حتّى يُدفن في مقابر المسلمين آمنا مطمئنّا!»، ولم يمت عبـد الملك، فقـد آلَمَتْهُ شدّة المقصّ، فاستيقظ من موته وفرّ مذعورا عاريا لا يلوي على شيء.

سنة 2059: الأربعاء 19 فيفري 2059، باتـت تـونس غارقة في ظلام دامـس دون سبـب معلـن، لذلك لم أسهر، وأويتُ إلى فراشي باكرا؛ وكان أحفادي وأبناء أحفادي قد تهيّؤوا لسهرة طويلة احتفاءً بعيد ميلادي السّادس بعد المائة، فتكدّروا، وقلتُ مهوّنا: «لا بأس، يا أولادي، نحتفل العام القادم! مازالت أمامنا سنوات كثيرة لنحتفل!»؛ ولم أكـن أعير أعيـاد الميلاد اهتمـامـا كثيرا أو قليـلا، فأنا بطبعـي لا أحـبّ عدّ السّنين! وكان التّاسع عشر من فيفـري يأتي ويذهب عاما بعد عام دون أن أنتبه، ثمّ صارت ابنتي راوية تنبّهني، مـذْ وعَـتْ، وتحتفـل غصـبا عنّي؛ والنّاس في ريفنـا لا يعدّون الزّمن أصلا، كأنّه ثابـت لا يتحـرّك، أو كـأنّه ثـلاثة فصول دوّارة، تذهب وتجيء، ولا أدري لماذا يغفلون عن الرّبيع، ربّما لأنّه يجيء قصيرا محشورا حاشرا نفسه بين شتاء وصيف، بعضه هنا وبعضه هناك؛ لذلك، لم تكن أمّي تدري في أيّ سنة جئـت، ولا في أيّ شهـر! كلّ ما تذكـره أنّي جئتُ فجر ثلاثاء ذات شتاء! الذين يولدون في عزّ البرْد يكتوون بالنّار طولَ أعمارهم، قليلهم يتدفّأ وكثيـرهم يكتوي! ولحـق بي حفيـدي إلى غـرفتي التي لا أُوصـد بابـها أبـدا: «يا جـدّو، عُـدْ إلى الصّالة، نريـد أن نحتفل سواءً في الظّلمة أو في النّور! الدّنيا منوّرة بـك!»، ولم أحبس دمعي، وهمس الفتى: «يا جـدّو، لماذا تبـكي؟»، كيف أبْصَرَ دمعي؟ وتونس ليلتها في ظلام دامـس! «يا جدّو، ألم أقل لك الدّنيا منوّرة بك؟».■

ص.و.